

محمد رفیع

أَبُو عَلِيٍّ

قَابِلُ أَرَنْت

وَقَصُّ أَمْرِي

## كلمة

للبحثة الكبر الامتاذ ج . ويدمار

المستشرق السورى

من مقدمة كتابه الذى ألفه بالامانى عن المؤلف  
وترجم له فيه نخبه من أقاصيصه

قال :

.. قد تبدو قصص المؤلف لأول وهلة بسيطة . ولكن هذه  
البساطة هى السرّ فى قوتها وتأثيرها . وترى الشخصيات المختلفة  
الواردة فيها ظاهرة بوضوح وجلاء ومماوءة بالحياة . فالمؤلف  
يتغلغل فى أعماق نفس الشخص الموصوف لى يبرز عقليته  
الحقيقية . أمّا لغة القصص فجميلة وبسيطة . والكاتب يتجنب  
دأماً ذلك الأسلوب المصطنع الذى نهج عليه بعض المؤلفين حتى  
فى هذا العصر .

## كلمة للمؤلف

ظهر القسم الأول من قصة « أنى على عامل أرتست » فى البلاغ اليومى الأغر منذ نحو سبعة أعوام . ثم ظهرت القصة بقسميها الأول والثانى منذ أربعة أعوام فى السياسة الاسبوعية الفراء . ولما فكرتُ فى اعدادها للطبع فى كتاب مستقل وبدأتُ تنقيحها رأيتُ نفسى مدفوعاً الى كتابتها من جديد . فألفتها ثانياً تأليفاً خالفتُ فيه الأصل من وجوه كثيرة . فأصبحت فى شكلها الحالى تختلف اختلافاً بيناً عن القصة الاولى .

العودة

## العودة

لا أسرة الحوامدى ضيعة بالقرب من بنها يتوسطها منزل حقير  
قديم اذا قورن بدور الفلاحين ظهر كبيراً فلما تقيم فيه امرأة  
ارتبطت شخصيتها وحياتها به فأصبحت كأنها جزء منه لا يتجزأ .  
هى أم زيان « العجانة » التى تسكن الفرن وتقوم بحراسة المنزل  
وتنظيفه . امرأة مجهولة العمر قصيرة القامة بجسم نحيف ووجه صغير  
مكسو بالتجاعيد . نشطة فى الخدمة لا يهدأ لها قرار . تراها أمام  
الفرن تحرك الارغفة وفى التفيفة تطعم الطيور وفى الزريبة تحلب  
الجاموسة ، رائحة غادية فى صحن الدار - وعلى رأسها جرتها التاريخية -  
تحول الماء لملء الأزار . وهى فى مشيتها تسير منتصبه القامة مرفوعة  
الرأس فى خفة بنت العشرين . وتمز يدها اليمنى الى الأمام والى  
الخلف كأنها جندى يسير فى حفلة استعراض .

وقديما كانت لأم زيان دار خاصة تعج بالأطفال وزوج نشط  
طيب يعمل لفاتها وسعادتها فكانت تعيش سيدة بيتها لا تخدم  
إلا زوجها وأولادها . ولكن هناه لم يدم طويلا اذ ناصبها الدهر  
العداء - على حسب قولها - فخرمها من زوجها عائلها وحامى ذمارها .  
فكانت فاجعة تحملتها بصبر عظيم ، وعكفت منذ ذاك الحين على

العمل فاشتغلت أجيرة في البيوت وفي الغيطان واشتغل معها بناتها  
وصبياتها الكبار ليساعدها على العيش . ولكنها لعظم شقتها  
فقدتهم جميعاً الواحد بعد الآخر . إلا ابنة في الثالثة عشرة أبقاها  
لها الموت بضع سنين ، حتى إذا ما تزوجت وخلفت « الغالى »  
عاجلها القضاء كأخوانها وأخواتها من قبل . وهكذا لم يبق لام زيان  
من أسرتها إلا ذلك الحفيد الصغير الذى تركه أبوه في عهدتها  
ليتفرغ هو الى عمله وزوجته الجديدة . والتحق أم زيان من ذلك  
الوقت باسرة الحوامدى فانتقلت هى وحفيدها « الغالى » الى  
حجرة الفرن حيث اتخذتها مسكناً لها

وشب « الغالى » وترعرع فى أرجاء الفرن فنام على القش  
والخطب وحباً على الارض الصلبة الساخنة واستنشق منه نعومة  
أظفاره رائحة العجين والخبز واكتسبت بشرته لوناً نحاسياً براقاً  
كاون الارغفة الساخنة . وكمن مرة وهو صغير دفعه فضول الطفولة  
الى دخول « محى » الفرن ليتعرف كنه ذلك القرص الاحمر الملتهب  
الذى يتألق فى جوف الفرن الداخلى . فانتشلته جدته من بين السنة  
النار قبل أن يغدو طعمة لها . وكثيراً ما غمس يديه فى المواجير  
ولطخ وجهه بالعجين ، أو هجم على الارغفة وهى خارجة من النار  
فمزق منها ما استطاع أن يمزق واكتوت أصابعه بلهبها ثم يجلس

بعدئذ على كوم من الحطب ينتحب ويبرد يديه في الماء  
وبالاختصار كان « الغالى » شيطاناً من شياطين الانس قد ولى  
نفسه حاكماً مستبداً يهيئ فساداً في مملكة الدقيق والنار . وقد  
وهبته جدته عطفها كاملاً وأورثته حبها القديم لزوجها وأولادها  
السالفين . بل حبها للحياة نفسها إذ كانت ترى فيه مناط هوائها  
وغاية أملها لا تعيش في الحياة إلا لاجله

ولأم زيان صبر واستسلام عجيب يكاد يكون من خوارق  
الطبيعة الانسانية مع ما أصيبت به من أرزاء مفاجئة . لا يرى على  
وجهها عبوسة اليأس ولا ثورة السخط ولا يُسمع من فمها كلمة  
شكاية أو ملل من الحياة . بل هناك بشر دائم طبيعي متألق في صفاء  
عينها المسكحتين هو بشر الطائفة المستقرة في قلبها . ولا يذكر  
انسان مر عليها ولم يشاهد تلك الابتسامة الخالدة مرسمة على فمها  
والتي تحاول دائماً أن تغطيها بنديل خمارها . واذا رغب أحد في  
حديثها وسألها قائلاً :

— كيف حالك يا أم زيان

أجابته بصوتها الهادىء الوقور إجابتها التي لا تتغير قائلة :

— ألف حمد وألف شكر لله . كل شيء طيب في الدنيا

وكثيراً ما يزورها أفراد أسرة الخوامدى في « مستعمرتها »

فيجلسون بجوارها أمام الفرن يراقبونها وهي تحرك الأوغفة  
بالمحرك الحديدي أو يدخلون معها التفقيصة يشاهدونها وهي تعجن  
الردة وفتات الخبز للطيور يستمعون بشغف لها وهي تروى لهم  
أشهى القصص وأطيب النوادر والأخبار. أما « الغالي » فهو لها  
كالكلب الأمين . يروح ويجيء خلفها أينما ذهبت وكثيرا  
ما يتشبث بنيل ثوبها إذا رآها تكثر من التنقل خوفا من أن  
يفقدها . وإذا أرادت أن تتخلص منه للتفرغ لعملها صنعت له  
حصانا من أعواد الذرة الجافة يركبه ويجرى به في صحن الدار فرحا .  
ولما كبر الغالي تجرأ على الخروج من المستعمرة بمفرده .  
فلمب مع رفقاته الصغار على الأكوام وركب الحير السائبة وهي  
عائدة الى زرائعها . وقصد زاوية الصلاة في وقت الهجرة ليعا كس  
النائم من عباد الله الصالحين وخرج الى الفيضان يرقص ويردد  
مع فتيات الضيعة أغنيتهن المشهورة :

« يا عود الحشيش يا خضر يا مزرع يا مالي الفيضان يا عيني »  
وكم انطلقت أم زيان الى الفيضان تبحت عنه حتى اذا ما عثرت  
عليه اقتادته الى وكرها وهو يصرخ متمردا ثم لطفته بعود صغير  
من القصب تشغله طول الوقت بمصه

ولما كبر وأصبح له من العمر سبع سنوات كان يرافق أمياده

الصغار من أسرة الحوامدى الى الفيضان فيشاركهم فى أكل البطيخ والخيار. واذا أزمعوا فسحة الى القرى المجاورة وركبوا الحمير لهذا الغرض جرى خلفهم بعصاه الدقيقة بحثها الدواب على السير. وكان الغالى لا يرى أباه الا فى المواسم والاعياد إذ كان الاخير قد انتقل بعائلته الجديدة الى بلدة بعيدة عن ضيعة الحوامدى وجد فيها ربحاً أوفر

\* \* \*

وحدث أن حل الأب على الضيعة على غير ميعاد . ولما سألته أم زيان عن سبب حضوره - وكانت قد أوجست خيفة منه - أخبرها بأنه يريد أخذ ابنه ليرسله الى القاهرة كخادم مع عائلة غنية . فقد رأى أن الفلاحة فى الأرياف ليست ميدان الكسب الحقيقى لأبناء هذا العصر . فهناك فى « المدينة » ينشأ الطفل وأمامه ألف مهنة يختار منها ما يوافقها ، هذا فضلاً عن حياة الرفاهية التى يتنعم بها أهل المدن . فقابلت أم زيان حديث الأب بالاعتراض وتوسلت اليه أن يبقى حفيدها فلم يعبأ بكلامها وأوضح لها فى شدة أنها اذا مانعت فى أخذ ابنه قضت على مستقبله قضاءً مبرماً . وواجهها الآن أن تضحى بشفتها فى سبيل هناء حفيدها . وأخذ يحدثها حديثاً طويلاً عن تلك الحياة الرغدة التى سوف يجيهاها نالاً فى ( المدينة ) وعن مستقبله الباهر الذى ينتظره . فلم تجادلها

حجة تعترض بها عليه . وأذعنت لحكم القضاء صاغرة كما أذعنت له من قبل . ولكنها بعد صمت مضطرب سألت الأب قائلة :

— وهل يغيب عنى طويلاً ؟

— سوف يجيء ليراك كل عام ويمضي العيد معك

— وهل تظن أنه يفلح في المدينة ؟

— كل الفلاح . سوف يعود اليك بكسوته الافرنجية

وطر بوشه المعوج وحنائيه اللامع . سوف يعود اليك فتي رشيقاً من

أهل المدن لافلاحاً جلفاً من أهل القرى . سوف يأتي النسا

محملاً بالنقود والمدايا

وتخيلت أم زيان في تلك اللحظة حفيدها الغالي بينلته

الافرنجية الأنيقة وطر بوشه المعوج وحنائيه اللامع معتلياً ظهر البغلة

وخلفه غلام يجري بالعصا . فلمعت عينهاها بدموع الفرح . ولكنها

كانت تشعر في الوقت نفسه أنهم ينتزعون منها جزءاً لا ينفصل

من قلبها فأخذت تبكي وتشهق وهي لا تعرف اذا كانت تبكي

فرحاً لمستقبل الغالي أو حزناً على فراقه

وتركها الأب بعد ما وعدها بالرجوع بعد أيام لأخذ ابنه .

فدخلت أم زيان حجرة الفرن وأقفلت بابها عليها . وأسندت

ذقها على يديها وتاهت في أحلام مختلفة ، ودموعها تسح

مدراراً على وجهها

وفي اليوم التالي خرجت قاصدة السوق وعادت منه بحمل  
من الأقمشة شرعت تفصلها وتخيطنها جلاليب وطواقى للغالى  
وكانت تسهر الليل أمام مصباحها تخيط وفي حجرها الطفل تهزه  
وتغنى له أغانى المستقبل المبهجة معددة له صفاته حينما يكون سيداً  
كبيراً له شارب غزير مفتول كشوارب الحكام ، وطربوش  
أحمر فاتح اللون كطرايش الامراء يهتز زره فى الهواء هزة الخيلاء ،  
وحذاء ذو صرير عال كأحذية الجنود يسمع صوته من بعيد .  
وكانت تنظر اليه نظرات طويلة عميقة ثم تنهال عليه تقبيلاً وضماً  
حتى تزعجه فيصحو صارخاً من النوم . فتعيده على حجرها وتلاطفه  
فى سكون بهزاتها الحنوننة وتغنى له من جديد أغانى المستقبل بصوت  
ككاه نواح وشجن

وأخيراً سافر الغالى مع والده الى مصر وبقيت أم زيان  
بمفردها فى حجرة الفرن . ومن الغريب أنها عند وداعها لحفيدها  
لم تذرف دمعاً ولم يظفر على وجهها أى اضطراب بل كانت  
تضحكه وتلاعبه ببشاشة وتروى له مختلف الاقاصيص . ولكنها  
لما عادت الى وكرها حبست نفسها فيه أسبوعاً كاملاً خرجت بعد  
نهايته بوجه شاحب يشبه وجه من دُفن وخرج من القبر حياً

\*\*\*

وسار دولاب الحياة سيره المعتاد فعادت أم زيان الى سابق

عملها أمام الفرن تعجن وتخبز وفي قفص الطيور تطعم الدجاج  
وفي حظيرة البهائم تحلب البقر وتصنع اللبن . ورجعت إليها  
بشاشتها وظهرت على فمها ابتسامتها . وأخذت تسير مهرولة في فناء  
الدار كسابق عهدها تشتغل بنشاط واهتمام إلا أن قامتها انحنت  
قليلا وزادت التجاعيد في وجهها

ولكن اذا جن الليل دخلت وكرها وأمضت الساعات جالسة  
أمام الفرن ينير وجهها بصيص من نار خامدة وهي تحدث الغالي  
متخيلة أنه معها . تروى له النوادر والقصص وتسأله عما يفعل  
وكم يكسب وهل لبس البنطلون وارتدى الطربوش المعوج  
وأخيراً تأتي بجلباب من جلابيبه وتضعه في حجرها ثم تهزه بخنان  
وتبدأ تغني له أغاني المستقبل الزاهرة ودموعها تجري من مآقيها .

ومضت السنون وكرت الأعياد وأم زيان صابرة تنتظر  
عودة الغالي . وكانت تخطط له الملابس وتجمع له النقود وتشتري  
له الحلوى التي يحبها ثم تذهب بكل هذا الى أبيه ليوصلها اليه .  
فيأخذ الأب هذه الهدايا الثمينة ويوزعها على نفسه وزوجته وأولاده .

وإذا سمعت أن شخصاً أتى من « المدينة » تهرع اليه وتسأله  
عن الغالي فيجيبها أنه على أحسن حال صحة وسعادة . مع أنه لم ير  
للغالي ظلا في حياته . وكانت في بعض الأحيان تتخيل أنه سيعود

اليها بعد أيام ممدودة . وتقول ان قلبها أنبأها بذلك وتمين اليوم  
الذي يصل فيه . فتجهز له الملابس وتصنع له الفطير وتجمع له أعواد  
الذرة ليجمع منها خيولا مطهية . وتطلب من رئيس الكلافين  
أن يرسلوا للغالى على المحطة البغلة ومعها صبي يحمل العصا

واستمرت أم زيان على هذا الحال عشر سنين كاملة تحيا  
حياة الأحلام ..

وأخيراً تحقق الحلم وجاء الاب يعلم الجدة بأن حفيدها الغالى  
سيحضر صباح الغد فقابلت الخبر بندهول كاد يفقدها الصواب .  
ولكن سرعان ما استعادت رباطة جأشها وانحلت عقدة لسانها عن  
سيل منهر من الاسئلة لم يدر الرجل عن أيها يجيب

وهرعت أم زيان لساعتها الى الفرن فجهزت لحفيدها طعاما  
شهيماً وانتقت له من بين أعواد الذرة التي كان يلعب بها عوداً  
صغيراً متيناً طويلاً أعدته له فرساً مسرجاً . ثم اغتسلت وتكحلت  
ولبست الجديد من الثياب وأمضت الليل كله ساهرة تدور في  
الغرفة لا تعرف ماذا تفعل مع شعورها بأن هناك عملاً كبيراً عليها  
أن تؤديه . ثم خرجت قبيل الفجر الى الدوار وجلست أمام بابه  
مترقبة ظهور الغالى على بغلته المطهية . ولسكن النوم عاجلها فلم  
تستفق إلا على حركة البهائم وهى خارجة الى الغيظ

وأخيراً ظهر أمامها الأب وبجواره فتى في السابعة عشرة له وجه نحاسي خشن البشرة كامد اللون مملوء ببثور الشباب يلبس الجلباب والمعطف والطربوش وله شارب أخضر قدر . فتقدمت أم زيان في سكون وسألت الأب قائلة :

— ألم يحضر الغالى يا بنى

فالتفت إليها ضاحكا وقال وقد أشار لها على الفتى :

— ومن يكون إذن هذا ؟

فرفعت أم زيان قامتها المنحنية وحملت في الفتى طويلا والفتى

أمامها يبتسم ابتسامة الخيلاء ودنت منه وهي تسائل نفسها بصوت مرتجف وعينين رامشتين ..

— أيكون هذا هو الغالى ، هل هذا ممكن .

فأجابها الأب قائلا :

— وهل كنت تظنين أنه سيظل طفلا صغيراً مدى الحياة؟

فتقدمت أم زيان نحو الفتى واحتضنته طويلا ودموعها تنهمر

على وجهها ... ومن ثم عادت به الى حجرة الفرن وقدمت له

الطعام والحلوى . وكانت تحدثه عن حياتها منذ أن فارقها وكيف

كانت تفكر فيه دائماً ، وكيف كانت تترقب كل عيد مجيئه

لزيارتها . ثم جعلت تروى له حوادث الطيور والبهائم وما جد منها

وما اختفى . ثم استمدادت أمامه ذكريات الماضي حينما كان طفلاً  
وذكرته بحوادث شقاوته ... وفي هذه اللحظة وقع نظرها على الحصان  
المصنوع من أعواد الذرة . فتراجعت . ونظرت الى الفتى فاذا  
به ينظر بغرابة واشمئزاز الى هذا المكان وكان مرتسماً على وجهه  
شيء من التأفف والانزعاج قليل الكلام له صوت خشن غليظ  
وحرركات شاذة جافة . فحارت أم زيان في أمره كيف ترضيه  
وتدخل السرور على قلبه . وقامت مهرولة نحو صندوقها وبجشت  
فيه عن شيء يليق أن تقدمه له فلم تجد الا بضعة قروش جمعتها  
وذهبت بها اليه ووضعتها في يده وهي تقول :

— خذ ياغالى هذا المبلغ وفرش به نفسك

ففتح الشاب يده وألقى نظرة باردة على النقود ثم أخذها  
ووضعها في جيبه ولم يجب . وبعد قليل قام مستأذناً ، وذهب من  
فوره الى الغيط ليراقب الفتيات وينشد معهن الاغاني الريفية تاركا  
جدهته بمفردها في الفرن تحدث نفسها بخجل قائلة :

— هل هذا هو الغالى .. هل هذا هو الغالى ابني وحيبي

الصغير .. كلاً ليس هو .. انه غريب عنى كما أنا غريبة عنه ..

ولم يعد الغالى اليها بعد هذه الزيارة اذ كان يمضى نهاره وليه  
منتقلاً بين الغيط والمحطة يغازل الفلاحات ويعنى معهن . أو يدخن

الجوزة ويحتسى الخمر مع أمثاله الشبان وينهب فينام في بيت أبيه

\*\*\*

وطال انتظار أم زيان على غير جدوى . وجف الفطير المشلتت  
الذي صنعته خصيصاً له ... ومرت الايام وهي تسمع عن الغالى  
ولا تراه

وأخيراً دخل عليها الأب فوجدها أمام الفرن محتضنة جلابابا  
قصيراً من جلابيب الغالى الطفل وعوداً جافاً من الذرة - حصانه  
التقديم الذى كان يلعب به - وهي تقبلها وتبكي فعجب الرجل  
لامرها وبادرها بقوله :

- أتبكي وقد عاد اليك الغالى

فرفعت رأسها ونظرت اليه باستسلام ويأس وقالت :  
- لقد مات الغالى من وقت طويل يا بنى .. مات منذ أن  
فارقنا الى المدينة ...

obeikandi.com

الى اللجنة

## الى الجنة

حزن الشيخ سُويلم على وفاة أبيه الشيخ نوّار حزنا عظيما إذ  
فقد فيه مثلا أعلى للابوة ومثالا كاملا للتقوى

لقد ظل الشيخ نوّار شيخاً لبلدة الدهارشة زهاء الثلاثين عاما  
وكان معروفا بين أهلها بطيب قلبه وورعه وحبّه للمدلل . فأحبه  
الجميع وأخلصوا له وظلوا على ولائه حتى توفاه الله في سن السبعين .  
وكان للشيخ نوّار زوجة أخلفت له ذرية كبيرة ولكن الموت  
عاجل ذريتها من بعدها ولم يبق له غير ابنه سُويلم  
فخصه بكامل عنايته . وأقام على تعليمه وتهذيبه حتى بلغ الثامنة  
عشرة . فأتى له في أول الأمر بالشيخ « مصيلحي » المقرئ  
المعروف في القرية ليعلمه القراءة والكتابة ويحفظه القرآن . فلما  
حفظ القرآن وجوّده أرسله الى « كتاب البلدة » ليتعلم مبادئ  
العلوم . ومكث الفتي في الكتاب زهاء ثلاث سنين لم يحصل  
اثناءها على قليل أو كثير . فأخرجه أبوه منه . وعكف يلقنه بنفسه  
مبادئ بعض العلوم الازهرية بطريقة ناقصة مشوشة . وكان

الشيخ يرغب أن يلحق ابنه سويلم بالأزهر لينال ما أخفق هو في نيله . ولكنه عاد فتذكر خيبته . وقامت في نفسه ثورة صامتة على مشايخ الأزهر الذين أسقطوه في الامتحان ظالماً . على حسب دعواه . فأنف أن يزج ابنه في المأزق الذي زج فيه نفسه من قبل . وقنع بتعليمه ما كان عالماً في ذهنه من العلوم التي درسها . وكان الشيخ نوار من الرجال المتعصبين للدين يحى حياة التقشف . وشب سويلم - طفلاً وغلاماً وشاباً - في بيئة أبيه وتحت رعايته وارشاده . لا يرى حوله الا الصلاح ولا يسمع الا عن الحياة الاخرى وما فيها من نعيم مقيم . فاتقدت في قلبه منذ الصغر جنوة الدين وأخذت تزكور ويبدأ حتى صارت موجة كبيرة من اللهب تغمر حياته بأكلها .

ومضت الايام والشيخ سويلم دائم التفكير في أبيه يتحدث عن مناقبه امام الناس على اختلاف درجاتهم . فلا يمهه أن يستوقف فلاحاً ذاهباً بحماره الى الفيط ويأخذ في سرد أخبار تافهة عن أبيه . ولا يستحي أن يجمع الاطفال والصبيان حوله فيحكى لهم نبأاً عن حياة والده . وكان يذهب الى قهوة المحطة القريبة من بلدة الدهار شه فيلقى المحاضرات الطويلة في تقوى والده ...

وكان يتردد في أغلب الاوقات على منزل الشيخ مصيلحي - أستاذه القديم - أو يذهب الى مصطبته بجوار الجامع . والشيخ

مصيلحي مقرر فقير أربى على السبعين . يقرأ القرآن للناس باجر .  
يحترمه الشيخ سويلم ويحفظ له في قلبه جميل التليذ المخلص لاستاذه  
القديم وكان حديث الاثنين يدور حول مناقب الشيخ نوار وسيرته  
الطيبة وتفانيه في حب الدين . فكان الشيخ سويلم يستمع لحديث  
شيخه بانتباه وهو جالس قبالة وعينه البراقتان مغمورتان بالدموع  
ووجهه الطويل الأصفر ذو اللحية السوداء يبدو عليه الحزن  
والاستسلام .

وجلس الشيخ سويلم مرة جلسته المهدودة على المصطبة وامامه  
الشيخ مصيلحي وكانا يتحدثان كالعتاد عن المرحوم الشيخ نوار .  
وكان الشيخ سويلم هذه المرة قليل الكلام . وقد جلس متربهاً أمام  
أستاده يحملق في وجهه بعينه الملتفتين من يره لا يشك لحظة  
أنه منتبه أشد الانتباه لمحدثه . ولكنه اذا دقق النظر اليه طويلاً  
رأى هاتين العينين المفتوحتين تحملتان حملة الضرب لا تبصران  
شيئاً ، تنهان بصاحبهما في وادي الاحلام ... وانه كذلك اذا  
تكلم مقاطعاً أستاذة بهدوء قائلاً :

— ياترى ابن أنت الآن يا أبى ..

فتوقف الشيخ مصيلحي عن الكلام وكان يروي لتلميذه  
حادثة وقعت له مع أبيه . وظهر عليه شيء من الامتعاض اذ عرف  
أن الشيخ سويلم لم يكن يستمع له . وكرر الشيخ سويلم سؤاله بلهجة

أشعرت الشيخ مصيلحي بهودته الى حالته الاولى . فأجابهُ وهو  
يمشط لحيته البيضاء بأصابعه :

— في الجنة بلا ريب

فأضغى الشيخ سويلم لكلام أستاذه بانتباه . وبعد صمت  
قليل قال :

— أذهب الى الجنة من الآن ، ألا ينتظر يوم الحساب .  
فاعتدل الشيخ مصيلحي في جلسته وتأهب للرد على سؤال تلميذه  
وقد ازدادت رعشة صوته لتوهمه انه مقدم على حل معضلة دينية لم  
يصل الى حلها تلميذه الفقيه فقال :

— اسمع يا بني . اذا مات المرء فارقت روحه جسده وذهبت  
من فورها الى مكانها المخصص لها في العالم الثاني . فأما الى النار  
تمال نصيبها من العذاب وإما الى الجنة تنال قسطها من النعيم .  
وتظل هكذا حتى يوم القيامة فتعود الى جسدها من جديد حيث  
تنتظر الحساب الاكبر .

— إذن روح والدي في الجنة

— بلا ريب

وظهرت على محيا الشيخ سويلم أمارات الرضى فانبسخت  
أساريره وقرت عيناه . ثم قال :

— الجنة ... الجنة ... ألا بربك حدثني عنها يا عم الشيخ

مصيلحي .

فتنحى الشيخ مصيلحي طويلا وبدأ يستجمع تفكيره حلا لهذا السؤال العسير ... ماهي الجنة ... ماهي الجنة ... لقد كان يعرفها بشعوره أكثر من معرفته لها بعقله . وبعد صمت طويل بدأ يفيض بما عنده من أوصاف شائقة للجنة وما فيها من هناء ورخاء . فأخذ يصف الماء كل الشهية ولعابه يسيل جزافا في حلقه . ثم القصور الشاهقة والملابس الثمينة ثم النوم المتواصل والراحة الأبدية ..... الى آخر ما هنالك من أحلام ومشتبهات . وكان الشيخ سويلم مصفيا بانتباه لا حد له مأخوذاً بتلك الأوصاف الرائعة . وكيف لا يؤخذ المسكين بأوصاف أستاذه عن الراحة والنوم المتواصل وهو الذي يكند طول يومه يفلح في الارض ليكسب منها عيشه . كيف لا يفتر ثغره ولا يسيل لعابه لحديث الماء كل الشهية وهو الذي لا يتناول اللحم الا مرة في الاسبوع ولا يعرف من الفاكهة الا البلح والبرقال . كيف لا تبرق عيناه لوصف القصور وهو الذي ينام على سطح الفرن في بيت حقير ... وتنهد من أعماق قلبه طويلا وقال :

— من لي بالجنة يا عم الشيخ مصيلحي أنتقل اليها لساعتي

— ستذهب اليها بعد عمر طويل يا بني

— ما أمر طول العمر . والله لو خُيرت بين الإقامة في هذه  
الدار وبين الانتقال الى العالم الآخر لفضلت الثأى عن الاول .  
فأهلا بالموت ينقلنى الى عالم الهناء والسعادة  
— لكل أجل كتاب يابى . وهذا لا يعلمه الا الله

ومن هذا الحين سكت الشيخ سويلم عن ذكر ابيه واستولت  
عليه فلسفة جديدة شغلته عن كل شىء آخر هى فلسفة العالم  
الثأى بجنته الواسعة حيث الهناء الدائم . وعظمت رغبته فى معرفة  
الجنة وما فيها من نعيم . فكان لا يمل سؤال الشيخ مصيلاحي عنها .  
حتى اذا نفدت معلومات استاذة ولم يجد ما يقوله لتأمينه غير التكرار  
قصد الشيخ سويلم أئمة الجوامع يطوف عليهم فى مساجدهم ويلوذ  
بجماعة الأولياء ومشايخ الطرق يحضر حلقات أذكاهم ويفشى  
بجالسهم . كل هذا ليحظى منهم بحديث عن الجنة وحياة الخلود  
فى الآخرة . وتطورت فلسفته الى صوفية قوية طبعته نفسه بشهوة  
عجيبة للموت وزهد كبير فى الحياة . فكان اذا رأى جنازة أو  
سمع عن شخص مات ندب سوء بجنه لو جوده فى الدنيا يقاسى  
آلامها ... وطالما وقف بجوار شريط السكة الحديدية ينتظر مرور  
القطار ، وفيه رغبة خفية تدفعه لأن يتخطى الشريط وقت مجىء

القطار . ولكن جلجلة ذلك الشيطان الحديدى وتلك الهيبة المفزعة التى تتقدمه كأنه جيش بأسره يتعقب عدواً هارباً كانت توظف الشيخ سويلم من أحلامه الصوفية فيعود اليه حب البقاء ويعدو هارباً بمنتهى قوته .

ووقف عدة مرات امام التربة يطيل النظر اليها حالماً يرى فيها سفينة نجاته من عالم الآلام ولكنه كان يتردد ويعود الى داره مكتئباً . وزادت همومه وأضحى عمله الذى كان يقوم به قبلاً بصبر وجلد شغلاً شاقاً لا يقوى على ادائه . ونظر الى داره التى ولد وترعرع فيها والتى كانت من قديم مهد راحته وهنائه ، فرآها سجنًا تضيق به نفسه . وبالأجمال وجد كل شىء امامه قد تغير واكتسى بالسواد فحديث الشيخ مصيلحي أضحى تافهاً مملاً يحرك نائر أعصابه ، ومجالس أئمة المساجد وحفلات مشايخ الطرق أصبحت سخيفة ممقوتة . ولم يجد سلوته الا فى زيارة القبور . فكان يقصد قبر والده ويجلس قبالة يتيه فى بيداء خياله يريد أن يشارك أرواح الموتى شعورهم بحياتهم فى العالم الآخر .

وخرج الشيخ سويلم مساء أحد الايام من داره على غير عادته وكان ملتحفاً بزعبوطه القديم لا تظهر منه الا عيناه الحائرتان

يمشي مشية فيها حزم و ارادة . وسار في الطريق العمومي مجتازاً  
المحلات العامة ثم انطف على حارة مظلمة كثيرة التعاريج خرج  
منها بعد قليل الى شبه غيظ مهجور يتوسطه مستنقع كرهه الرائحة  
في نهايته دار مهدمة لا يظن المار بها انها مأهولة لولا قنديل له نور  
ضعيف معلق على بابها . وكان الباب غير موحد فوجه الشيخ بسرعة  
كأنه يعرف الطريق من قبل . وبعد أن اجتاز ممراً ضيقاً وجد  
نفسه في قاعة سمع فيها شبه ضجة وهرج ، ورأى قوماً معتلين  
بعض الدكك الخشبية بعضهم متربع والبعض ممدد والآخر  
جالسون القرفصاء يدخنون الجوزة ويشربون القهوة . ولم يكن ينير  
القاعة الا مصباح واحد من البترول ضعيف النور . فلم يستطع  
الشيخ سويلم أن يتبين الجالسين بوضوح ولكن ملاحظهم البادية  
من خلال النور أشعرته بقشعريرة اهتر لها جسمه . لم يكن هذا  
المكان غير مأوى لقطاع الطرق واللصوص وغرزة من غرز  
الحشيش . ظاهره قهوة بلدية بريئة من كل شائبة . لم يكده الشيخ  
سويلم يطأ عتبة الباب ويدور بعينه في وجوه الجالسين حتى هدأت  
الجلبة ورفع الجميع أبصارهم اليه يفحصونه بعيون مستريبة فيها  
عوامل الشر كامنة . وانتشرت همهمة فيما بينهم . ونظر بعضهم الى  
بعض يتساءلون ويتسمون في ازدياد . وجد الشيخ سويلم في

مكانه وقد ناله الجزع وعاوده التردد والجن . وكاد يهرب الى الخارج لولا أن رأى رجلاً مقبلاً نحوه ، قصير القامة نحيل الجسم . يتظاهر بالوداعة ، له عينان غائرتان تحت أهدابه الفليضة . أقبل الرجل عليه مسلماً مرحباً . وأفسح له مكاناً على طرف إحدى الدكاك التي بجوار الباب ودعاه للجلوس ولكن الشيخ أصر على الوقوف . فسأله الرجل عن سبب مجيئه فقال سويلم بصوت متهدج :

— أريد مقابلة عم خفاجة

فسكت صاحب القهوة برهة وجيزة وهو يفحص الشيخ فحس خبير ثم سأله :

— هل تريده في مسألة خاصة ؟

— أجل ، وفي أمر يتعلق بمهمة خطيرة

فقادته الرجل الى حجرة داخلية يفصلها عن هذه الحجرة ممر طويل مظلم بيايين خشبيين . وكانت حجرة صغيرة تضئها شمعة واحدة قاربت أن تنتصف موضوعة على حافة نافذة ضيقة . وكان نسيم الليل يهب من الخارج متسللاً من هذه السكوة يداعب لهيب الشمعة فترقص على أثره الأشباح داخل الغرفة بشكل موحش مخيف . وكان عم خفاجة جالساً القرفصاء أمام زميل له ومعتمداً يظهره على حائط الغرفة . وكان ضئيل الجسم لكنه صلب العود .

له صوت أجش وعينان ناريتان كهينى المر  
ودخل الرجل وأخبر عم خفاجة بأن الشيخ يريد في أمر خطير .  
وفي لحظة كان الشيخ سويلم وعم خفاجة منفردين وجها لوجه .  
وأخذ عم خفاجة يفحص الغريب فحصاً دقيقاً والشيخ يجتهد في  
ضبط عواطفه والتغلب على ضعفه . وأخيراً تكلم خفاجة مداعباً :

— ما الذى أتى بك يا شيخ سويلم ؟

فارتجف الشيخ سويلم وقال :

— أتعرفنى ؟

— ومن لا يعرف الشيخ سويلم الورع ابن الشيخ نوار شيخ  
بلدة الدهارشة رجل التقى والصلاح . هل أرسلك أحد . ومن  
ذلك على هنا ؟

فابتلع الشيخ ريقه وجلس مضطراً على أرض الفرقة وتكلم  
وهو ينظر أمامه نظراً تأملاً :

— لقد كنتُ أسأل في الخفاء عن الشخص الذى أطلبه لمهمتى

حتى دلونى عليك . ولم كابدت في ذلك من مشاق

— أهلا بك ، وما هى مسألتك ؟

— مسألتى مسألة قتل تستوجب المهارة والخبر . أستطيع

الاعتماد عليك

فقال خفاجة مدهوشا :

- أنت تريد إزهاق روح من الارواح !

فصاح سويلم من أعماق قلبه :

- بل، أريد خلاصها من عالم البؤس والشقاء

فهز خفاجة رأسه مبتسما وقال :

- لم أفهم مرادك بعد . . . أوضح

- مسألتي واضحة ، أريد أن أدفعك لقتل انسان نظير

عشرين جنيتها تناولها منى هي ثروتي التي لا أملك سواها

- هي قيمة الاربعة قراريط التي بعثها منذ عهد قريب ؟

- أراك مطالعا على كل شيء . . نصفها أعطيتها لك الآن

والنصف الآخر تأخذه بعد القتل مباشرة . . . ولكنني أشترط

شرطاً

- وما هو ؟

- أن تكون الضربة في موضع مميت ، وقاضية على المقتول

لساعته

- سيخر الشخص صريعا في لحظة واحدة

- عوفيت يا عم خفاجة . . . اتفقنا ، هاك المبلغ .

وناوله صرة النقود ، وصمت فترة وجيزه ا كتسب فيها وجهه

مظاهر الطمأنينة والاستقرار على أمر معين . ثم تكلم بهدوء  
لايشوبه الإحادة بسيطة تفلت بالرغم منه في سياق الحديث . وقال :

— سوف يكون غريمك في دارى مساء الغد ، ولا يتركنى  
إلا بعد صلاة العشاء بساعة كاملة وسيتخذ طريق الجرن القديم  
ثم يمر على ساقية أبى خربوش ومنها يسير فى غيط النخيل ، ناحية  
مهجورة تصلح لعمالك . أليس كذلك ؟

— كل الصلاح

— وسيحمل معه العشرة جنبيات الباقية . سأعطيها له لأنى  
مدين له بها

— ألهذا الامر تريد قتله ؟

— هذا سرى لا أبوح به

— شأنك وما تريد

— سيكون فريداً بلا تابع ، ومترجلا بلا دابة ، ملثم الوجه

بشال أبيض وملتحفاً بزعبوط أسود

— وما اسمه ؟

— ستعرفه بعد القتل . أما الآن فلا . . . سوف تحضر

بالقرب من دارى وتربص له فاذا ما خرج تبعته بحذر

فصمت خفاجة طويلاً ثم أحدق بعينيه الناريتين في وجه

الشيخ سويلم وقال :

— أما اذا كانت هناك مكيدة تريد أن توقعنى فيها .

فقاطعه سويلم غاضباً وقال :

— حاشى أن أفعل ذلك

ولكن خفاجة أم كلامه قائلاً :

— فأقسم برأس أبى لتكونن ضحيتى

— ٤ —

وفي مساء اليوم التالى بعد صلاة العشاء بساعة خرج من دار الشيخ سويلم رجل ملثم الوجه بشال أبيض وملتحف بزعبوط أسود يمشى بخطوات سريعة متزنة كأنه على ميعاد هام يخشى ضياعه . واتجه نحو طريق الجرن القديم ثم تابع المسير الى ساقية أبى خربوش ومنها العطف الى غيط النخيل . ولما دنا من الغيط المذكور تمهل فى السير قليلا وظهر عليه شئ من التردد . . . . . ولكنه عاد الى متابعة سيره بمجد واهتمام حتى اذا ما توسط الغيط خرج له من بين النخيل خفاجة بنبوتة الصلب وهوى على رأسه بضربة من الخلف أصابته فى وسط رأسه فترنح الرجل على أثرها وخر صريعا وهو يتمتم بكلمات متقطعة :

— الى الجنة . . الى الجنة . .

صاكة

## صاححة

كان الفلاح عبد السميع جالساً على حجر عريض ملقى بجوار أحد المخازن المهجورة ينظر ناحية السكة الزراعية ، وهى طريق ممد يشق أرض حسن أغا ويمتد فى الاطيان التى بعدها حتى محطة السكة الحديدية ويقوم على حافتيه صف طويل منظم من أشجار البقس المستوية السيقان . وكانت نظراته الحائرة تدل على أنه يفتش عن شخص بين المارين من صبيان يقودون بهمائم ورجال حاملين فؤوسهم على أكتافهم ونساء خلف حميرهن . وبغثة أشرق وجهه وانفرج فمه عن ابتسامة عريضة ظهرت تحتها أسنانه البيضاء المنتظمة . وقام من فوق الحجر فاذا به شاب طويل القامة عريض الاكتاف قوى العضلات له ملامح ريفية جذابة بعينين عسليتين ساحرتين . وكان صدره الضخم العارى بشعره الكث يظهر جلياً من فرجة صدره المفتوح . وكان يتمنطق على جليابه الأزرق القصير بحزام من السكتان مشدود على خاصرته شداً زاد فى رفع جليابه عن الحد المألوف فظهرت ركبتاه الكرويتان فوق ساقيه الضخمتين . وصاح منادياً ومكرراً النداء قائلاً :

صابحة ، يا صابحة ، انت يا بنت يا صابحة

والتفتت الفتاة جهة الصوت فألفت عبد السميع يناديها وهو  
مقبل نحوها . فعرفته . وافتقر ثفرها عن ابتسامة هادئة أخفتها تحت  
طرحتها السوداء . وكانت تسير خلف حمار عليه مقطفان فارغان .  
فضربته بالعصى التي في يدها ضربات متواليات عرف الحيوان  
معناها فقفز يجرى نحو الدار من تلقاء نفسه . وخرجت هي من  
السكة الزراعية واتخذت طريقاً منعرجاً بجوار القناة الصغيرة  
لتستقبل عبد السميع في منتصف الطريق . وكان الانفعال ظاهراً  
عليها رغم هدوء طبيعتها وقدرتها على ضبط عواطفها فجعلت تبالغ  
في ستر نصف وجهها الأسفل بطرحتها . وتقابلا وجهاً لوجه ثم سارا  
بلا كلام ناحية المخزن المهجور حتى بلغا بابه . ووقفنا بجوار الحائط  
العريض القائم هناك . وجعل عبد السميع ينظر الى الارض يفكر  
فيما يجب أن يقول . وقد اكتسب وجهه بعض سياء الكآبة .  
وبعد برهة تكلم :

- لم أرك منذ أيام يا صابحة عند حسن آغا . فإذا حصل .  
هل تشاجر معك أحد أو انقطعت من تلقاء نفسك لسبب أجهله ؟  
فتركت الفتاة طرحتها تسقط من على وجهها ، وجعلت تنفض  
تراب جلبابها وهي صامته . ورفع عبد السميع بصره اليها وجعل  
يحدق فيها بشره .

وكانت صابحة فتاة ريفية لا تخوم من جمال . لها ملامح دقيقة  
بعينين مكحلتين جذابتين . فيهما صفاء وسهوم . طاهرة القلب  
مخلصة متوقدة الذهن صريحة . قوية في ايمانها شديدة الثقة بنفسها .  
تعارفت بعبد السميع في منزل حسن آغا حيث تشتغل عنده اجيرة  
تقوم له بمهام الخدمة بينما عبد السميع يشتغل كخادم خاص وسكرتير .  
ولسيده ثقة كبيرة فيه . هنالك تعارفاً وتحاباً وقوى هذا الحب حتى  
عرف به بعض أقارب الفتاة فأخبروا والدها به . وكان أبوها يحتقر  
عبد السميع ولا يراى كفوّاً لابنته . وكان يرشح لها ابن شيخ  
البادية ، فتى نظيف الهيئة له مقام رفيع بين أهل بلده ولأبيه ثروة  
لا يستهان بها في نظره . وشجعه على هذا الترشيح مارآه من اعجاب  
هذا الفتى بابنته واظهار رغبته في الزواج منها . فلما علم بحب عبد  
السميع زاد احتقاره له وامتلاً قلبه كراهية وحقداً عليه . وعدّ  
ذلك الحب اهانة موجهة الى شرفه . وجاء عبد السميع خاطباً فلم  
يجد منه غير الازدراء والتهديد . وعاد عبد السميع الى دار سيده  
والخزى يتبعه والهّم يحاصره ولكن بدون أن يتطرق اليأس الى  
قلبه . وأخفى عن صابحة ما صادفه من فشل وعول على ارضاء والدها  
بأية وسيلة ليحصل عليها . وكان عبد السميع محبوباً من سيده للين  
عريكته ونشاطه وأمانته . معروفاً عند الجميع باستقامته وقيامه  
بالواجب على الوجه الامثل .

وطال صمت صابحة وعبد السميع ينظر اليها نظرات تم من  
حب عميق متغلغل في ثنايا قلبه . وأعاد عليها السؤال على وجه  
اخضر فقال :

— أ كانت غيبتك لمرض . . ومتى تعودين ؟

وأخيراً تكلمت صابحة وهي تنظر الى الارض ووجهها  
يحمل طابع الحزن والمرارة وقالت :

— لن أعود الى الخدمة عند حسن أغا

فلمعت عينا عبد السميع بوميض غريب وتكلم بصوت  
متهدج قائلاً :

— لن تعودى الى الخدمة .. هذا مستحيل .. من يقول ذلك

— أبى

— لماذا

— لأنه علم بما بيننا من محبة

— لذلك يريد أن يفصل بيننا . .

— نعم

— محال

— وكيف محال يا عبد السميع وقد . .

ثم صمتت ولم تتم جملتها . وأدرك هو ما يجول في نفسها  
فتكلم في تهكم وغيظ :

— أمي يا صابحة جملتك ولا تخجلى . تكلمى . قولى . . إنك

قد صرت خطيبة لابن شيخ البلدة . . ولكن أقسم لك . .

وهنا اختنق صوته واحمرت عيناه ونفرت عروق رقبتة

ثم أم كلامه

— أقسم لك أن هذا الزواج لن يحصل أبدا . . لن

تصبحى زوجة لأحد غيرى مادمت على قيد الحياة .

وكانت هذه أول مرة سمعت فيها صابحة عبد السميع يتكلم

بهذه اللهجة ورأته بهذا المظهر الوحشى فشعرت بخوف منه وحولت

نظرها عنه بعجلة . . . أهذا هو عبد السميع الهادىء الرزين الذى

من خلقه الطاعة . والذى أمضى حياته حتى هذه الساعة ولم يشتبك

في مشادة أو مشاجرة .

وكان عبد السميع يتنفس بشدة ويرتجف . فلما زالت نوبته

وعاد الى سابق حاله تكلمت صابحة بصوتها الهادىء وكأن الطيبة

والسناجة والاستسلام تسيل من كلامها

— وماذا تريد منى أن أفعل يا عبد السميع . . أتريد أن

أخالف رأى أبى . وهل أستطيع أن أفعل ذلك .

— إذن أنت لأحبيننى يا صابحة

فصممت الفتاة وأجهشت بالبكاء دفعة واحدة . ف شعر  
عبد السميع كأن خنجراً حاداً يحز في قلبه . فأقبل عليها  
بشفق وقادها الى داخل الخزن المهجور وأجلسها على كومة من  
التبن . وجعل يكفكف دموعها ويكلمها بلهفة وتوجع .

— لا تبكى يا صابحة . إن بكاءك يقطع قلبي . . . إني واثق من

حبك لى . . . ولكن هذه الخطبة آلمتني ألماً كبيراً . وسأسى  
جهدى فى سبيل ابطالها . . . سأحدث أباك فى أمر زواجى منك  
وسيقبل . . . سيقبل

فالتفتت اليه صابحة وعيناها مغرورقتان بالدموع وسألتها قائلة:

— وكيف يقبل يا عبد السميع . ألم تخطبني من قبل فكان

نصيبك الفشل . أتظن أنى أجهل ذلك

ففتح عبد السميع فاه يريد الكلام . ولكنه غص بريقه فلم يفه

بحرف . وظل متحيراً . وعيناها تلمعان . وأخيراً فلتت منه

هذه الجملة :

— ولكن عندى الوسيلة هذه المرة

— أية وسيلة ؟

فصمت متردداً وحدثنا عينيه لا يستقر لها قرار . ولكنه

أخفض صوته والتفت يمنة ويسرة وأسر في أذنها قائلاً :  
— عندي المال . عندي المهر . هذه هي الوسيلة التي  
تنييني إليك .

فمسحت صابحة عينيها وأنفها بطرف كفا وأشرقت على  
وجهها ابتسامة وضاءة وسألته بلهفة :

— عندك المهر . . عندك الثلاثين جنبها  
— عندي . عندي . عندي هنا في جيبى . أتريدى أن تريها .  
ثم أدخل يده في جيبه وأخرج رزمة من الأوراق المالية .  
وجعل يعدها أمامها وهو يرتجف ثم التفت إليها وقال :

— هذا المال مالك يا صابحة . مهرك الذى سوف أقدمه  
لابيك . خذيه في يدك وتأمليه . . خذيه . . خذيه  
وألح عليها بأن تأخذ المال في يدها وتأمله . . ولكن صابحة  
لم تمد يدها . واختفت بغتة ابتسامتها واكتسب وجهها مظهر  
التفكير وبعد لحظة سأله بلهجة الجد قائلة :

— ومن أين لك هذا المال يا عبد السميع  
فعمد عبد السميع جبهته وقال لها مستاءاً :

— ليس لك أن تعلمى من أين جئت بهذه النقود . لقد  
حصلت عليها وكفى وهى ملكى وسأدفعها لك مهراً .

وتكلمت صابحة كأنها تناجي نفسها بصوت مسموع :  
— ليس لك بهائم فنقول انك بعثها وهذا تمها . وليس لك  
أقارب فنقول انهم أقرضوك . وليس سيدك حسن أذا بالكريم  
حتى نظن أنه أعذق عليك من ثروته هذا المبلغ . . .  
ثم رفعت رأسها وحدثت فيه بعينها الصغيرتين وقد  
اكفهر وجهها واقتربت منه وهي تقول :  
— كلا لا يمكن ذلك . أممكن . . . ولكنك ترتجف .  
ثم تبيذت لها الحقيقة فصرخت قائلة :  
— هذا المال ليس لك وإن تتصرف فيه مطلقاً . انه مال  
حسن أذا . ان هذه الثلاثين جنياً هي عينها التي سُرقت من  
منزله في الاسبوع الماضي .

فتلبد وجه عبد السميع بسحابة كثيفة . وأخذ يكرر قوله  
بتلثم :

— أنا سارق . . . أنا . أنا .

— إذن من أين لك هذا المبلغ ؟

فتلفظ عبد السميع بالفاظ متقطعة غير مفهومة وأصبح منظره  
بشعاً . ولكن صابحة اقتربت منه وأخذت تلاطفه قائلة :

— لا تفضب يا عبد السميع . إني أحبك واريد لك اخير  
أرجع النقود لصاحبها . انها نقود لا خير فيها ولا بركة . أعدها  
ينغفر الله لك ذنبك يجب . يجب يا عبد السميع . انك رجل طيب  
أمين . فلا تلتخ سمعتك . عدنى بأذك ستعيدها بدون أن يشمر  
صاحبها

وكانت صابحة تتكلم والدموع تتساقط على وجنتيها . وأجابها  
عبد السميع قائلاً :

— لن أعيد النقود الى صاحبها . انها أصبحت في حوزتي  
وسأدفعها مهراً لك

فأخذت صابحة تشهق بالبكاء وهي تصيح بصوت مخنوق  
قائلة :

— لا أقبل مهري نقوداً مسروقة . ان الله لن يبارك في  
زواجنا . لا أقبل . لا أقبل

قال عليها وأخذ يكلمها بشغف :

— وأنا لا أستطيع أن أتخلى عنك يا صابحة . لا يمكن أن  
أتصور أن شخصاً غيرى سينزوجك . لقد سرقتُ النقود من  
أجلك . . سرقتها من حسن أنا سيدي وولى نعمتي ولكنها سرقة  
عادلة . انى فقير معدم وضعيف الحول والقوة بيننا غريبى الذى

يد أن يتزوجك غنى بماله وجاهه . . أنا المغلوب وهو الفائز  
أى صلاح تريدني أن أحر به . لقد ارتكبت هذا الفعل المخزي  
لكنه في نظري شريف مادام سينيلني إياك يا صابحة . لا تستطيعين  
ن تتصورى مبلغ ألمى حينما علمت بخطبتك لقد كدت أجن  
أمضيت ليلة طويلة وأنا جالس القرفصاء أمام باب حجرى  
عيناي جاوحتان لا تتحركان . . وبغثة طرأت على الفكرة .  
لا أدري من أين هبطت . . وكنت أعلم أن سيدى حسن أغا قد  
نسلم مبلغ خمسين جنيها من المستأجرين منذ يومين فقط . وأن  
المبلغ مازال في خزائنه فقامت في الحال وأنا أقول لنفسي ان مبلغ  
الثلاثين جنيها لا ينقص من ثروة حسن أغا شيئاً وليس حراماً أن  
أسرقه منه وهو الرجل الشحيح الذى يكنز النقود فى البنك بفائدة  
ويسلف الفلاحين بالربا الفاحش . أما لدى فهذا المبلغ هو سعادتى  
بأكملها . . وكل هذا من أجلك يا صابحة فسامحيني فان الله سيسامحني  
بما سأقدمه له من فروض العبادة كفارة عن سيئتي هذه . سيئتي  
الوحيدة التى اقترفتها والتي لن أقترف سواها فى حياتى .

وكانت صابحة مازالت تبكى بصوت مختنق . وشعرت بأنفاس  
عبد السميع الحارة تقترب من وجهها حتى لاصق فمه خدها . ودس

الاوراق المالية في يدها وهو يقول لها بصوت متغير فيه بحجة  
كفحيح الافعى

— انى أحبك وأعبدك يا صابحة . ولا أطيق العيش فى الحياة  
بدونك مطلقاً . فانت روحى ونور عيني ومهجة فؤادى .. هذه  
نقودك فخذها من الآن . خذها فى لك وتصرفى فيها كما تشائين .  
وأحست صابحة بقبلة حارة تنطبع على خدها . فكأنما هى  
قرصة النعبان فى ألمها . ولمست يدها النقود الورقية فكأنما سمعتها  
نار حامية . فصرخت وشدت نفسها منه مبتعدة وهى تقول :

— ابتعد عنى يا عبد السميع . أتركنى ولا تقترب منى وإلا  
صرخت مستغيثة بأعلى صوتى

ولم يكن أمامها فى هذه الآونة عبد السميع الهادى الطبع  
الرزين . بل كان شخصاً آخر لم تقع عليه عيناها من قبل . آدمى  
فى هيئة حيوان مفترس . عيناه جذوتان من النار . ووجهه قطعة  
من الدم تعلوه طبقة داكنة من غبار الفحم . ثم ملامحه المخيفة عن  
انقلاب نفسيته السريع . لقد سمع كلامها ولسكنه لم يفهمه وظل  
يقترب منها وهى تبتعد عنه . وفتحت فمها تريد الصراخ ولسكنه  
سبتها وأمسكها بين ذراعيه يريد احتضانها بالرغم منها وكان يهدر  
كالثور بأقواله الغرامية ، أقوال مفككة تفلت من فمه بلا وعى .

وقامت بين الاثنين معركة شعرت فيها الفتاة أنها مغاربة فصاحت بأعلى صوتها تستغيث ولكن عبد السميع وضع يده على فمها فقطع صيحتها . واستطاعت في فترات مختلفة أن ترفع يده وتصرخ بضع صرخات متقطعة وتقول :

— اتركنى . انى لأقبلك . اذهب عنى . انى أكرهك ..  
أكرهك ...

وكان هو يجيبها بصوت أجش قائلاً :

— لا يمكن أن تزوجى سوى .. انى أعبدك . ويجب  
أن تحببى وتعبدينى .. يجب .. يجب ..

— بل أكرهك . أكرهك . اتركنى يا وحش ..  
وأفلتت منها صيحة هائلة رنت فى جوانب المخزن فسُمع لها  
صدى عظيم . واضطرب عبد السميع اضطراباً كبيراً فخيل له ان  
الناس ستحرق به من كل جانب وان الشرطة سيأخذونه الى السجن  
بعد أن ينقذوا الفتاة منه ويسلموها لابن شيخ البلدة .. وارثجف  
وأحس بشيء جديد يستيقظ فى أعماق نفسه وشعر كأن شخصية  
أخرى حلت فى جسمه واذا بيده اليمنى تضغط على عنق الفتاة بلا  
وعى بينما كانت يده اليسرى تكتم أنفاسها وتمنع صراخها . وهو  
يقول لها مكرراً :

— لا أدعك تتزوجين ابن شيخ البلدة . لن تكوني لسواي مطلقاً . اني أحبك قلن تفلتي من يدي ...

واضحلت قوة الفتاة بفتة . فتركها عبد السميع فهوت على كومة التين جثة لاحراك فيها . ووقف الفتى برهة ينظر اليها وهي ملقاة على كومة التين بدون أن يعي حقيقة ما نالها ثم أخذ يعود الى حالته الاعتيادية فاستطاع أن يفهم رويدا ما وقع .. فاذا به يرتجف وينكب على جثمانها يفحصها ويهزها ويدعوها بصوت مخنوق . وبفتة صاح قائلاً :

— أبدا . أبدا . است أنا .

ثم أخذ يصرخ ويفتح بأعلى صوته وهو يمرغ وجهه في التراب بجوارها ويمزق بشرته بأظافره .

وكان حسن آغا يسير متهدأ في سكة المخزن الخرب يقصد الى الجامع من الطريق الاقرب ليؤدي فريضة المغرب . وكان غارقا في تسبيحاته . يلبس كالمعتاد طربوشه الافرطس الذاهب اللون يقطى أذنيه ويلتحف بجبته السوداء وشاله الاجرد . وانه كذلك اذا بصوت عبد السميع يخترق سمعه بفتة . فتوقف عن المسير ورفع رأسه من على مسبحته وأخذ ينصت باهتمام . وتكرر الصوت بشكل مريع فهرع حسن آغا نحو مصدره . وهو يجر في قدميه مركوبه الاحمر البالي . فلما اقترب نحو باب المخزن خرج اليه عبد السميع

بزحف على الأرض كالكلب المتخن بالجراح وهو يتأوه وتأوها  
مبحوحا . فسأله حسن آغا بلهفة وعجب قائلاً :

— ماذا بك يا عبد السميع ومن أدمى وجهك ؟

فصرخ عبد السميع بأعلى صوته مجيباً وهو يبكي بمرارة وألم :

— صابحة ماتت ياسيدي ، وأنا الذي قتلتها . ادخل فيها هي

جثتها وهامى تقودك التي سرقها منك منشورة حولها .

وعاد الى تخميش بشرته بأظافره وتمريغ وجهه في التراب وهو

يئن أنيناً موجعا . أما حسن آغا فوقف مبهوراً جازعاً . ثم حانت

منه التفاتة الى داخل الحجرة فوجد الفتاة ممددة على كومة التبن

والأوراق المالية منشورة حولها . فهم بالدخول ، ولكنه رهب

الميتة . وأخيراً أغمض عينيه وسار الى داخل الغرفة وأخذ يجمع

الأوراق المالية . ثم خرج وجعل يصيح :

— الى السارق .. الى السارق .. الى القاتل الى القاتل

obeikandi.com

جججج امرأة

## جسيم امرأة

طلب عبد الرسول أفندي الموظف بوزارة المالية إجازة شهرين - شهرى يوليو وأغسطس - يقضيها في رأس البر وكان في أشد الحاجة لمثل هذه الإجازة ليرفه عن نفسه متاع الاعمال الحكومية ويريح جسده من سهر وعريضة كل ليلة . وعبد الرسول أفندي فتى جذاب الصورة عليه طابع الرجولة في كل شيء ، قامه طويلة وعينان قويتا النظرات وأنف أقى . اكتسب جمال قوامه - الذى يشبه قوام الأغر يق القدماء - بممارسته ألعاب الجباز عند ما كان طالباً في المدرسة

وفي عصر اليوم الاول من إجازته كان في رأس البر في فندق الكرنك المشهور بحسن موقعه وجودة أكله . مستلقياً على كرسي طويل من القماش يستنشق الهواء المنعش برثة عطشى ويتحسس الرمل بأصابع قدميه الخافيتين في جنل ونشوة . ونام ليلة لا ينسى حلاوتها . وفي الغد خرج من الفندق حوالى الساعة ١١ ليجول في المصيف ومر أثناء طوافه على قهوة « الستاسى » فدخل ليتناول شيئاً من المرطبات . وتصادف أن كانت مائدته بجوار مائدة جماعة مختلفة من السوريين والمصريين كانوا يتناولون « الاپيراتيف »

ويلاهبون الطاولة . وبينما كان عبد الرسول منهمكا في شرب  
صرطبه اذ سمع واحداً من الجمع يناديه ويرحب به . فالتفت فاذا  
بصديقه الخواجة جبران — صاحب بنك السلفيات جبران  
اخوان بلوموسكى — قادماً ليسلم عليه . فقسام مهللاً به إذ كانت  
تربطه به صداقة قديمة نبتت في بنكه المتواضع الكريم . وبسط  
الخواجة له يديه وهو يقول :

— اشحال الاخ . الصحة على ما يرام . . أليس كذلك ؟

— معدن يا خواجة جبران . وأنت كيف الاحوال ؟

— نحمد الله يا سيدى

ثم قاده من يده وهو يقول له :

— تمال أعرفك بالاخوان

وتم التعارف في لحظة . وكان بين الحاضرين رجل أشدب  
في الخامسة والخمسين منحني الظهر بقفا غليظ محمد . ورأس أصلمع  
وبطن مستكرش مهدل . يلبس قفطاناً أبيض بحزام عريض وسترة  
عادية . ويدعى الخواجة نعوم . كان يلعب الطاولة باهتمام ويمزج  
بين وقت وآخر بجرعات العرقى الفاخر . وبجواره زوجته المدام  
نعوم . سيدة في الثلاثين كلها رشاقة وجاذبية وافتتان لا يستقر لها  
قرار لا في الجلوس ولا في الكلام . فهى الشرارة السحرية التى  
تكهرب جو الاجتماع . وكان مجلس عبد الرسول بجوارها . فأخذ

يتجاذب معها أطراف الحديث برهة من الزمن . وعلم منها أنها تسكن العشة رقم ٢٠ في الصف الثاني مع زوجها وخادمتها . وعلمت منه أنه يسكن فندق الكرنك في الحجرة رقم ( ٥ ) . وكان أثناء الكلام يمدق طويلا في عينيها الجميلتين وهي تبادلته نظرات المرأة الناضجة ذات الخبرة الواسعة في فنون الاغراء . ولما قام الخواجة جبران مستأذنا قام معه عبد الرسول . وبينما كان الاثنان يسلمان على الجماعة سمعا مدام نعوم تقول لاحدى صويحباتها بصوت مرتفع :

— سوف نتقابل عصر اليوم عند اللسان ، أليس كذلك

ياعزيزتى

وخرج عبد الرسول مع رفيقه . وما كادا يبتعدان قليلا عن القهوة حتى التفت عبد الرسول الى الخواجة جبران وسأله قائلا :

— من عائلة نعوم هذه ؟

فابتسم الخواجة جبران وقال :

— تحفة ياسيدى .. تحفة من التحف الطيبة .

— أهذا كل ما عندك بشأنها ؟

— وماذا تريد منى أن أقول ؟

— شيئا عنها

— انه يتلخص في كلمتين

— ما هما

— لقد كان للرجل عدة فنادق وقهاوى فى « بر الشام » تركها  
له أبوه . كانت تدر عليه أرباحا طائلة ولأمر ما تدهورت أحواله  
فباع ممتلكاته جميعها وصفى أعماله ونزح الى مصر حيث اشترى  
بباقى ثروته مجموعة مختلفة من الاسهم . يعيش من ريعها عيشة  
متوسطة

— ومدام نعوم ؟

— تزوجها صغيرة فى سن الخامسة عشر قبل أن يفقد ثروته  
الطائلة بوقت قليل . وكانت من عائلة فقيرة بائسة . أتريد أن  
تعرف أكثر من ذلك .  
— كلا وأشكرك  
ثم ابتسما وافترقا .

بعد ما تناول عبد الرسول طعام الغداء خرج الى الشرفة  
ليستريح على مقعده القماش الطويل . ولما أتاه خليل السفرجى بالقهوة  
قال له على الفور :

— أريد أن أخرج فى نزهة خلوية على النيل بمفردى . فهل  
أستطيع أن أجد قاربا نظيفا .

— بكل سهولة يأسىدى فى أى ساعة تر يده .

— فى الساعة الخامسة أمام الأور كائنة .

وأغمض عينيه وأراد النوم فلم يستطع . وشعر بتنبه شديد فى أعصابه . فتناول رزمة من الجرائد والمجلات أخذيتلمس بتصفحها . وبعد قليل رمى بالصحف جانبا وترك السرير وجعل سير فى الغرفة جيئة وذهابا . ثم وقف أمام النافذة وأخذ يراقب الطريق بأموأجه الرملية الحارة وعششه السا كته الوحمة . وأخيرا ترك النافذة وقصد حقيبته وأخرج منها ما انتوى ارتدأه من الملابس عصر هذا اليوم . وبدأ يلبس فى عجلة لأمسوغ لها اذ كان باقيا على ميعاد خروجه أكثر من ساعتين وارتندى قميصا من الحرير الأبيض بياقة صيفية مفتوحة يظهر خلفها مثلث صغير من أعلى الصدر . وبنطالونا من الفانلا يماثل لونه لون القميص . وحذاء من السكاوتش جديدا ناصع البياض . ولم ينس أن يسرح شعره بعناية ويضمخه بالعطر وأمسك بيده منشة من العاج . وخرج وقابل خليلا على باب الفندق وسأله عن القارب . فقال له خليل ان القارب سيكون معدا فى الساعة الخامسة بالضبط . وجعل يتمشى فى البهو الكبير قتلا للوقت ثم خرج يتنزه على شاطئ النيل أمام الفندق . ولكن لم يمض على خروجه بضع دقائق حتى رأى نفسه فى « اللسان » . وكان الهواء

عليلا يسكر النفوس فوقف على مقربة من الامواج منتشيا بلذة عميقة . ثم هرع في خفة الاطفال الى ملعب الجباز الكائن في تلك الناحية وتسلق العقلة وجعل يدور عليها بنشاط وابتهاج ، ورأس البر تدور كلها معه ببحرها ونيلها ورمالها وعششها . وأخيرا طوح بنفسه قافزا من العقلة قفزة فنية الى الورا شعرا أثناءها كأنه يسبح ويغوص في أمواج غاية في اللطافة والنعومة . وهبط واقفا على الارض . وسمعت جلبة عظيمة فيها هتاف وضحك وصراخ . فالتفت حوله فاذا به محاط باخوانه السوريين الجدد الذين تعرف بهم في قهوة الاستامى ظهر اليوم ، يهنئونه ويهللون به . وتقدمت اليه مدام نعوم وهي تقول له في عتاب ودلال

— كدت تسحقني بجسمك الهائل . .

وتكلم الخواجة نعوم بصوته الاخنف المتناوم .

— لم تكن نعلم أنك رجل « سبور » يا حبيبي . . هيا وفرجنا

على شقيلة اولاد المدارس

وكانت مدام نعوم مرتدية فستانا رفيعا شديد الالتصاق على

جسدها . يظهر جسمها عضوا عضوا . قصيرا مرتفعا الى الركبة

يترك بلا رحمة تحت الانظار سيقانها العارية التامة الزينة . وكان

فستانها وشبشبها ومظلتها من لون واحد وزخرفة متماثلة : ورود

مختلفة الالوان متداخلة في بعضها . وكانت تتلوى في وقفتها كأن شيئاً يدغدغها ، ونسيم البحر الخبيث يلعب بفستانها القصير كأنه يقول لها بجرأة : لم تحفظين بهذا الثوب المزيف وجسدك كله ظاهر ، نهب العيون .

وسلم عبد الرسول على الجميع في ضحك وابتهاج وساروا ياهم يتجاذبون أطراف الحديث : نواذر وفكاهات مصحوبة بمداعبات من الرجال ودلال وسحر من النساء . وكانت مدام نعوم بجواره . ولاحظ أنها تتباطأ في سيرها . وكثيرا ما وجد نفسه منعزلا معها عن الجماعة . وكان يشعر بجسدها يلامس جسده وبيدها تشد على يده فيرفع بصره اليها فيراها تبتسم له في اغراء . فكان يجاريها في عملها ويبادلها الابتسام والمداعبة . وجاء خليل يلهث من شدة التعب بعد ما أضناه البحث على عبد الرسول . وقال له عند ما رآه :  
— القارب جاهز يا بيه وهو تحت طلبك .

فرمقه عبد الرسول بنظرة شزرأه وأجابه على الفور :

— قارب في عينك . هل هذا وقت فسحة في قوارب .

وعاد الى الفندق بعد ما قضى وقتا شهيا في صحبة مدام نعوم

ورفاقها . و بعد الطامام اجتمع بيمض زملائه من سكان النزل  
ولعب معهم الطاولة . ثم استأذن مبكرا وقام الى النوم . وما كاد  
يدخل فراشه ويغمض عينيه حتى استغرق في سبات عميق . وبعد  
وقت لم يعرف مداه استيقظ على حركة أمام حجرته . فرفع رأسه  
ليتبين ما الخبر . فاذا بشخص يحاول فتح الباب بمهارة وتستر  
كأنه لص متمرن . فقفز من سريره منزعجا . ولم يكذ يخطو  
خطوتين الى الامام حتى انفتح الباب ودخل منه عجلا شبح لم يشك  
لحظة واحدة في أنه شبح امرأة . واذا به وجها لوجه أمام مدام نعوم !  
فبوغت مندهلا . وفتح فمه ليتكلم . ولكن مدام نعوم أقفلته بقبلة  
حارة عميقة . أصابه منها تخدر يشبه الاغماء . وجعلت تهمس في أذنه  
بكلمات كلها حب واشتهاء . وكانت تلصق خدها بخده وجسمها  
بجسمه فيشعر بالحي تقعد في جوانحه . وسألها برفق عن زوجها فأجابته  
بصوت منخفض :

— انه يلعب الطاولة ويشرب الزبيب مع أصحابه . ولا

يعود الى العشة الا في الصباح

وكان يسمع أثناء ذلك شخير جاره المعجوز كأنه ينهبهما

بوجوده . وليسكنهما لم يأبها له وأمضيا ليلة غرام عنيفة لم يتدوق

عبد الرسول في حياته مثلها .

وفي اليوم التالي بينما كان يشرب الفاروزة الباردة في شرفة  
الفندق البحرية قبيل الظهر جاءه « عبد العزيز » الجرسون  
بقهوة انتاسي وأخبره بأن الخواجة نعوم يريد في مسألة هامة .  
فتحير في أمره مضطربا . وتضاربت الآراء في رأسه . وفيما كان على  
هذه الحال سمع عبد العزيز يقول له :

— الخواجة نعوم منتظر حضرتك الساعة في القهوة عندنا .  
فأجابته على الفور وبلا وعى :  
— سأحضر . سأحضر .

وسلم عبد العزيز وانصرف . ورأى عبد الرسول من اللائق  
وجوب مقابلته للخواجة نعوم وتفاهمه معه في الحال .

ونهض قاصدا قهوة « انتاسي » فألقى الخواجة نعوم جالسا  
بمفرده يشرب الزبيب ويمز بالفاصوليا . وغير بعيد عنه الخواجة  
جبران وعباد أفندي ومدام نعوم ، ملتفتين حول مائدة أخرى ،  
الأولان منهمكان في لعب الطاولة والآخريرة تتفرج عليهما  
فاتجه عبد الرسول توا الى الخواجة نعوم وسأله في عجلة قائلا :  
— خير ياخواجة نعوم خير ما الخبر .

فقابلته الرجل بترحاب كبير . وأجلسه بجواره ونادى على الخادم  
ليحضر له كأسا من كونياك كورفوازييه وجعل يلاطفه على كتفه  
وهو يقول :

— خير يا حبيبي خير . المسألة بسيطة جدا . انما يجب أولا  
أن تتناول مشروبك لتبل به حلقك في هذا اليوم الملعون  
الشديد الحرارة .

والتفت عبد الرسول الى جيرانه الثلاثة — الخواجة جبران  
وعبياد أفندي ومدام نعوم فوجدهم منهمكين في لعبهم . فقال عليه  
الخواجة نعوم وقال له :

— اتركهم ياسيدي « بلاخوة دماغ » .  
ولكن مدام نعوم اختلست النظر الى عبد الرسول ورمته  
بابتسامة عذبة .

وأخيرا بل وأخيرا جدا . أخرج الخواجة نعوم نظارته  
وركزها على أنفه المذكور المعقد . ثم تناول من جيبه ورقة طويلة  
نشرها أمامه على المائدة . وقال بمد أن سلك حنجرتة .

— الموضوع ياسيدي مالي محض . مشروع الجنيه فيه يكسب  
مائة جنيه . مشروع مبيع تمام اشتركوا فيه معى بشوات وبهوات  
وماليون من أكبر مالي القطرين .. هالك القاعة وانظر فيها .

وناوله الورقة الطويلة . فأخذها منه عبس الرسول . وهو  
لا يعرف أى مشروع هذا الذى يكلمه عنه الخواجه . وقرأ  
بضعة أسطر فوجد أرقاما بجوارها أسماء . فأعاد الورقة اليه وهو  
يردد قوله :

- صحيح مشروع طيب جداً... ولكن...  
وأراد عبد الرسول أن يتكلم ليستوضح الخواجة نعوم عن  
المشروع. ولكن الخواجة نعوم لم يترك له الفرصة لذلك اذ اندفع  
كالسيل الجارف يحدته عن النهضة الاقتصادية وحب المصريين  
لتعضيد المشروعات النافعة وأسماء العطاء الذين اشتركوا في مشروعه  
وهلم جرا.. وكان يكرر مايقوله عشرات المرات  
فتركه عبد الرسول على هواه يتكلم حتى تعب وسكت من  
تلقاه نفسه. فرأى الفرصة مناسبة لأن يسأله عن ماهية المشروع.  
وقال له :

- المشروع في غاية الجودة... ولكن.. ولكن ماهو  
ياخواجة نعوم.

فصرخ الخواجة نعوم في جد واهتمام قائلاً :

- مشروع بناء كازينو في رأس البر يا حبيبي. أريد أن  
أبنى كازينو هائلاً على آخر طرز أجلب فيه أجواق الغناء والرقص  
والتمثيل لأدخل السرور على أهل هذا المصيف الكريم.  
فأمسك عبد الرسول بيده وهزها في حماسة قائلاً :

- رافو عليك ياخواجة نعوم. أنت صحيح رجل همة وعمل.  
فأجابه الخواجة نعوم بصوت متواضع وهو يخفض رأسه

ويبتسم :

— محسوبك اقتصادى قبل كل شيء .

ثم رفع رأسه وحلق في عبد الرسول وقال بلهجة الكبرياء :

— لقد كنت أملك عشرة فنادق في الشام وكنت أدير

فوق ذلك قهاوى للغناء والرقص والتفريخ . فاعتمد على ولا تخش

على نقودك . ستكون في مكان أمين ومضمون . وما قولك في ان

السهم بجنبيه واحد . شيء تافه لا يذكر .

وحانت من عبد الرسول التفاتة الى مدام نعوم فوجدتها

تشير اليه في الخفاء . ان سوف ولا تقبل . فعجب لأمرها . وعمل

بنصيحتها . وقال للخواجة نعوم :

— المشروع ناجح ناجح . هذا شيء مؤكد . انما . انما

يجب أن يفكر الانسان في الامر

— طبعاً ياسيدى طبعاً . أنا لا أريد أن تشترك إلا بعد روية

واقتناع . على حررتك بحبيبى على حررتك

ورأى عبد الرسول مدام نعوم قد تركت صاحبها وخرجت

الى الشارع بعد أن أشارت له اشارة خاصة . وبعد قليل استأذن

عبد الرسول من الخواجة نعوم فسلم عليه الاخير بحفاوة كبيرة .

وقبل أن يخرج مر على صديقيه الخواجة جبران وعياد افندى .

وحياهما ببعض كلمات الترحيب والمجاملة . ولما خرج وجد غير

بعيد عن الباب مدام نعوم تنتظره . وقالت له إذ رأته :  
— لا تكن عبيطاً وتشترك في مشروع الكازينو . . كاه كلام  
فارغ . . منذ خمس عشرة سنة وزوجي يمشي في مشاريع وهمية  
لا يكسب من ورائها بارة واحدة . ان أولاد الحرام يضحكون على  
عقله وينهبونه

فأخذ يدها بين يديه ولاطفها شاكراً بدون أن يتكلم  
فابتسمت ومالت عليه وهمست في أذنه قائلة :

— سوف تعلق على نافذة حجرتك الليلة منديلا . فاهم منديلا

— ولماذا

فلم تجب على سؤاله وأتمت قولها :

— وحوالي منتصف الليل سوف تسمع شخصا يصفر لك

تحت النافذة لحن « فلنسيا »

ثم شرعت تصفر « فلانسيا » بصوت منخفض مطرب .  
وكانت تدني فمها من أذنه رويداً . فكان يشعر بأنفاسها تلامس  
وجهه حتى اذا ما انتهت من انشاد الاغنية طبعت على خده في  
سرعة ورشاقة قبلة ساحرة . فالتفت حوله منزعجاً خشية أن  
يكون قد رآها أحد . أما هي فضحكت في خفوت وقالت له :

— لا تخف يا عبيط لا تخف . . لا يوجد أحد غيرنا في

هذا المكان .

وسمعا في تلك اللحظة صوت الخواجة نعووم ينادى زوجته قائلاً :

— ناعسة . يناعسه

وحدثت ناعسة في عبد الرسول وقالت :

— لاتنس أن تعلق المنديل وتفتح الشباك . . سوف تسمع

اللحن حوالى منتصف الليل .

ثم تركته مسرعة واختفت داخل القهوة . وسار عبد الرسول

في طريقه وهو متحير متعجب .

وبعد العشاء نادى على خليل واختلى به في ركن منفرد من

قاعة الطعام وقال له :

— أريد أن تحمل الى حجرتى زجاجتين من الشمبانيا

الفاخرة ومجموعة متنوعة من أطيب الفاكهة . . سأخرج للنزهة

قليلا على شاطئ النيل وعند عودتى أريد أن يكون كل شيء

جاهزاً . فاهم؟

فابتسم خليل في خبث وقال بمداعبة :

— البية عنده معازيم الليلة .

- مش شغلك يابارد

ثم نفحه بيقشيش سخى أخذه خليل وهو يردد له آيات الحمد

والشكر . وخرج عبد الرسول الى شاطئ النيل وتنزّه قليلا . ثم

عاد الى حجرتة فوجد خليلاً قد أعد مائدة في وسط الحجره عليها

الفاكهة الفاخرة والشمبانيا المشبعة فرقص قلبه سرورا . وقصد  
النافذة وفتحها وعلق خارجها منديلا كبيرا ثم جعل يقطع الوقت  
بلعب الكتشيينة وبتصفح الجرائد أو بالتطلع من النافذة وبينما  
كان على هذا الحال سمع لحن فلانسيا فهرع الى النافذة ووجد  
ناعسة تتسلقها في مهارة وخفة القبط . فجندها في رفق وشوق الى  
داخل الحجرة . ولما رأت الشمبانيا صفقت بيديها طربا وصرخت  
مهللة . فدنا عبد الرسول منها وهو يخفف حماستها قائلا :

— على مهلك . . على مهلك . لئلا يستيقظ جارنا العزيز .

ولكن جارها العزيز كان يغط في نومه ويسمعهما من حين  
لآخر شخيره العميق . وكانت ليلة هائلة كسابقتها .

ومضت الايام وناعسة تزوره كل ليلة في حجرته فيقضيان معا  
ساعات فتنة وهيام . وكان يقابلها في « اللسان » أو في قهوة  
انستاسي مع زوجها وأصدقائها فيقطع الوقت في محادثات شبيهة  
أولعب ظريف . وقد عزمه زوجها مرة على الغداء فحظي بأكلة  
فاخرة من الكببية والباباغنوج . ورأى من باب اللياقة أن يعزمها  
بصوره على أكلة من « الملوخية بالفراخ » . وكثيرا ما كان

الخواجة نعوم يفتحها في شأن المشروع فكان عبد الرسول يسوق معه واعداد إياه خيرا

وذات مساء اختلت به ناعسة في قهوة انستاسي وقالت له :

— ستحضر الليلة عندي في المنزل . كل شيء سيكون معدا لنا .

ستدخل من النافذة المفتوحة المعلق عليها منديل . إياك أن تتأخر عن الحادية عشرة .

ثم تركته وانصرفت الى « الجماعة » تحادثهم وتفرج على لعبهم . وقد أراد عبد الرسول أن يظفر بحديث آخر عن دعوتها له فلم يستطع إذ كانت تتجنب أي خاوة معه بعد ذلك .

ولم يكن قد سبق لعبد الرسول أن زار زوجة زيارة غرام في منزل زوجها . فتردد طويلا في بادئ الامر ولكنه خضع أخيراً لحكم هذه المرأة الجهنمية . وقصد عشتها في الساعة الحادية عشرة . وكان الشارع الذي خلف العشة مهجوراً مظلاماً فاطأ أن قلبه وتقدم بقدم ثابتة نحو النافذة المعلق عليها المنديل . فوجدتها تنتظره هناك . فصعد إليها في حذر وبادرها بقوله :

— الخواجة لم يعد بعد أليس كذلك ؟

فأجابته مبتسمة وهي تشد شعر رأسه في دعابة .

— اجلس أولاً واسترح . هدىء روعك فكل شيء على

مايرام .

فتنفس عبد الرسول الصعداء ولكننه لم يكده يجلس على الكرسي حتى صدمت أذنه كحة الخواجة نعوم فتأكد على الفور من وجوده في العشة . ووقف غضباً مرتاعاً وقد تأكد أن هناك مديسة دبرت له . وقال لها :

— ما معنى هذا . ان زوجك هنا فأجابته بابتسامة لطيفة وقد وضعت أصبعها على فمه . وقالت بصوت منخفض :

— هس . انه في الحجرة المجاورة . ثم أجلسته بالرغم منه على مقعده وهمست في أذنه قائلة : — وهل كنت تظن أنني أدعوك الى ليلة غرام في منزلي إلا اذا كان زوجي هنا . ما الفائدة اذا كان كل شيء حولنا يدعو الى الطأينة

فقاطعها منفعلا وقال لها :

— انت مجنونة . . أنت مجنونة .

ورفعت ناعسة صوتها تكلم زوجها قائلة :

— ألم تم بعد يا « بابا »

فأجابها الخواجة نعوم بصوت كله حشرجة ووخم :

— على وشك النوم ياعزيزتي . وأنت ماذا تفعلين ؟

— ألعب الكتشيته

- عظيم عظيم  
- ولكن ألا تأتي لتقبلني قبل أن تنام ؟  
فنظر اليها عبد الرسول منزعجاً وتمعجياً ، وسمع الخواجة نعوم  
يجيبها بقوله :

- حقاً لقد نسيت . . ما أغباني

وسمع حركة نهوضه من فراشه . فقفز طالباً النجاة من النافذة .  
ولكن ناعسة جذبته جذبة قوية . وقالت له في عجلة وهي تكتم  
ضحكها :

- أسرع تحت السرير . . تحت السرير

ولم يجد عبد الرسول بداً من اطاعتها على الرغم منه إنا  
كانت خطوات الخواجة نعوم تقترب منهما . فهرع تحت السرير  
زاحفاً واختبأ في أقصى موضع منه وقلبه يدق . وبعد قليل دخل  
الخواجة نعوم الحجرة وجلس على السرير برهة يداعب زوجته  
ويقبلها . وكان عبد الرسول يرى من مخبئه ساقى صديقه الأشعرين  
بجلدهما المجدد وقدميه الخافيتين داخل شبشه البالي . وأخيراً قام  
فسمعه عبد الرسول يخرج ويتعد . ثم يدخل حجرته . وذهبت  
ناعسة وأقفلت باب حجرتها . ثم اقتربت من مخبئه ونظرت اليه  
في عطف مصطنع وقالت له وهي تكاد تنفجر ضحكاً :

- يا حرام أنت هنا ! أعطني يدك لاساعدك على الخروج .

فأعطاها يده . وسحبته بلطف . ولما خرج قال لها وهو يجفف

عرقه :

— هذا كثير يا ناعسة .. هذا كثير .. اسمعنى لى أن

أنصرف

فقلت له غاضبة بلهجة الأمر :

— بل سوف تمضى الليلة كلها معى

— أنت فظيعة . فظيعة جداً

وسلم أمره اليها والى الشيطان .. !

وسارت الامور على هذا المنوال عشرين يوماً كاملاً . وهذه

المرأة الجهنمية تلاحقه كل ليلة فى حجرتة أو تضطره للملاحقتها فى

عشمتها . وكان شعوره بالتقزز من أعماله يزداد على توالى الايام .

وكان يرى سفالته متجسمة أمام عينه عندما كان يمد يده للسلام على

الخواجة نعوم فبدأ يتهرب منه ووقع زيارته عن قهوة « أنستاسى »

وحرّم على نفسه نزهة « اللسان » . وكان يشعر بالسخط على ناعسة

والتأفف منها . ولكنه لا يكاد يراها من بعيد تتطلع اليه بابتسامتها

الساحرة وعينيها الفاتنتين حتى يتلاشى هذا السخط ويحل محله فى

قلبه العفو والرضا . ومن غريب أمر هذه المرأة معه أنهم لم تكن تقبل

إلا الهدايا الصغيرة أمثال علب الشكولاته والبونبون . وكانت  
ول له دائماً :

— لا أريد أن تكلف نفسك شيئاً من أجل . أنت

كل هديتي

وفي اليوم الحادى والعشرين قام عبد الرسول من النوم  
سيق الصدر . وهو يفكر فى أن أمامه شهراً وعشرة أيام من اجازته  
ببقيتها هكذا فى جحيم هذه المرأة

وشعر فى هذا الوقت بمطف كبير على الخواجة نعوم . إذ تمثله  
مامه مستضعفاً مسكيناً يقبل المهانة التى كان يكيلها له ، صاغراً ذليلاً .

وأضى الوقت كله قبل الظهر والهم يتكاثر ويزدحم فى  
لبه . وتناول طعامه عابساً . وبعدها انتهاء الطعام قصد مدخل الفندق  
كالعتاد وتمدد على مقعده القماش وشرب القهوة التى جاءه بها الخادم  
ولكن لم يستقر به المقام طويلاً حتى قفز من مكانه وقد اعترم على  
أمر واستدعى خليلاً فى الحال وسأله :

— متى تقوم بالبخرة الى دمياط ؟

— فى الساعة الخامسة ياسيدى

— إذاً أحضر فاتورة حسابى لأنى عزمت اليوم على السفر .

وأسرع الى حجرتة وأخذ يرتب حاجياته فى حقائبه .

وفى الساعة الرابعة ونصف دفع حسابه وأوصى خليلاً ليحمل

عفشه الى الباخرة ، وكانت راسية بالقرب من الفندق . وقصد على  
الاثر قهوة انستاسى حيث يجتمع الخواجة نعوم عصر كل يوم  
باخوانه . فراه فى رهط من الاصدقاء منهم كما فى امب الطاولة وشرب  
الزيب كالعتاد . فدنا منه عجلا وسلم عليه باحترام كبير . وأخرج  
من محفظته على الفور ثلاثين جنيا كل ما يملكه من الاوراق المالية  
ووضعها امامه على المائدة وهو يقول :

— أريد أن أشترك يا صديقى فى ثلاثين سهما من أسهم  
مشروع الكازينو . هاك النقود .

ثم خرج على الاثر مهر ولا صوب الباخرة . وشكر الخواجة نعوم  
يرن فى أذنه .

وأقلمت بعبد الرسول الباخرة ووجهتها دمياط . وأخذت  
العشش تمر امامه سراعا كلما أمضت الباخرة فى السير . ورأى  
عبد الرسول قهوة انستاسى تمر امامه بدورها وشاهد فيها رهط  
الاصدقاء وبينهم الخواجة نعوم بظهره المحدود ورأسه الاصلع  
المنحنى يتحدث مع الجمع فى اهتمام

وشعر عبد الرسول كأن حملا ثقيلًا قد أزيح من على عاتقه .  
فابتسم ابتسامة كبيرة واستقبل نسيم المساء بصدر رحب .  
وبدأت رأس البر تغيب عن عينيه رويدا رويدا . . .

الشيطان

## الشيطان

حدثني صديقي قائلًا :

كنت أسكن ضاحية المطرية منذ خمسة عشر عاما و كنت مستأجراً منزلاً صغيراً متواضعا في شارع « المسلة » أعيش فيه مع والدي وخادمتنا العجوز . وأشتغل مدرساَ باحدى المدارس الابتدائية في العاصمة . ولم تكن حياتي تخلو من ملل و تعب إذا كان عملي المدرسي المرهق يشغل كل نهاري فأعود الى المطرية بقطار المساء وأنا مهموم ضيق الخلق . فأتسلى بالتره في الغيطان قبل العشاء وبعده . ولم أكن أعرف من سكان الجهة إلا بعض الجيران و المعارف العاديين الذين يضطر الانسان الى التعرف اليهم بحكم الظروف و الذين لا تربطني بهم غير رابطة السلام و الاحاديث القصيرة الرسمية . ولكن لم يمض على وجودي في هذه البلدة الصغيرة بضعة أشهر حتى تعرفت بشيخ جليل يدعى الشيخ موافى . كان أستاذاً للغة العربية في المدارس الابتدائية و أحيل على المعاش . رجل بقامة طويلة و لحية مهيبه و مشية رزينة تشبه مشية السلاطين . يتكلم بلهجة مزنة هادئة كأنه إمام يعظ الناس من فوق منبر الجامع . و تبدو على وجهه دائماَ أمارات الطيبة

الصالح . وبالاختصار كان كل ما فيه يثير إعجابي واحترامى .  
توثقت بيننا الصداقة في فترة قصيرة من الزمن إذ وجد كل منا  
في صاحبه الصديق الذى يتفق وإياه عقلا ومشربا . وكان يسكن  
بمزل ريفياً قديماً وسط الفيضان وبهيداً عن العمران كنت أقطع  
إليه المسافة من منزلى فى نصف ساعة تقريباً . يحيط بهذا المنزل شبه  
حديقة استأجرها صديقى من صاحب الفيض المجاور ليزرع فيها  
بعض الخضروات . وكان يعجبني من هذه الحديقة المتواضعة  
مظهرها الريفى الخالى من كل تنميق أو صنعة . وكانت جلستنا  
دائماً بجوار القناة الرئيسية فى موضع - تظله شجرة هرمة - اختاره  
الشيخ موافى للصلاة فأحاطه بسور قصير من الطين وفرشه بالقش  
والسمار . هناك كنا نتبادل أحاديثنا الهادئة عن الدين واللغة  
والأدب والتاريخ . أو نقرأ فى بعض الكتب المشهورة مثل  
الاغنى وابن الاثير والكامل . وكنت أحب هذه الجلسات وأنتظر  
بفارغ الصبر خلوى من العمل لأستمع بها من جديد . وكان  
الشيخ متفهما فى اللغة والأدب على وجه خاص ولكنه كثير الخرافات  
فى معتقداته الدينية

ولصديقى ابنة فى الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها - هى كل  
عائلته - تقاسمه الحياة وتقوم له بكافة أعماله المنزلية . شاهدها

مرات قليلة وأنا أتساول الطعام على مائدته اذ كانت تقوم على خدمتنا أثناء الاكل . فتاة متوسطة القامة عادية الملامح والاون خالية من كل رشاقة وزينة لا يميزها الا شيئان يشاهدان دائما عند كل فتاة في سنها : دنوها من النضوج الجنائى والتفتح الجفسي . تدل حركاتها الساذجة وما ينبعث من هيئتها من مظاهر الجبن والاضطراب على ماتعانيه من حياة كلها قسوة واستعباد . يعاملها أبوها معاملة شاذة لاتتفق وطيبة قلبه . فلا يرحمها بنظراته النارية ولا يكلمها الا بالفاظ خشنة مقرونة دائماً بالشتائم . واذا أتت بهفوة حاسبها عليها حسابا كبيرا . وكان يفسر لى سبب تلك المعاملة الغريبة بقوله : « ان الفتاة في هذه السن تجتاز دوراً خطراً من أدوار حياتها فاذا عاملناها بالحسنى وأطلقنا لها حريتها ظننت ذلك ضعفا وتهوانا منا فاندفعت بلا حساب فى طريق الغواية . أما اذا كبحناها وفرضنا عليها كامل سيطرتنا شبت خاضعة لقوانين الشرف والعفاف »

وكان يساعد الشيخ فى زراعة حديقته ففى فلاح يسمى عزازى له سمرة الاسوانيين . لا يستر جسمه الصلب المديد غير جلاب قصير يظهر منه صدره الأخم العريض ورجلاه الموحلتان وسارت الحياة على هذا المنوال فترة من الزمن نستمرى أنا

وصديقي ساعات مساهراتنا الطويلة على أحب وأشهى ما تريد

ولكن لعظم دهشتي لاحظ  
طفيفاً ثم أخذ يتزايد ويتفاقم  
أعلى حالة صديقي بدأ  
إلى الايام . فكانت  
صدمة لي نغصت على أشهى ساعات حياتي . فكم من مرة رأيته  
يصمت واجاثم ينتبه منزجاً على أثر رجفة عنيفة فجائية . واكتسى  
وجهه بطبقة صفراء داكنة تحمل عبوسة اليأس وعذاب النفس  
في كل ناحية من نواحيها . واختفت لمعة النشاط والحياة من عينيه  
وحل محلها كمد الموت في أقسى مظهره . فكانتُ أشاهده على  
هذا الحال وأنا متحسر مندهش وأناجى نفسي بقولي : « ماخطب  
الرجل يا ترى . هل حلت به رزية في ماله أو في عائلته أم نكب  
في صحته .... »

ومن الغريب انه كان يحاول دائماً - على غير جدوى منه -  
اخفاء حالته عني . فكان يثير كامن شفقتي بهذه المحاولات السخيفة  
المتعملة . ومع ما كنت أشعر به من لهفة شديدة لمعرفة سره كنت  
فضولي عنه محترماً ارادته الخفية  
واتفق أن احتد معي مرة في مناقشة بسيطة احتداداً شديداً

فرأيت أنه قد تنمر على خلاف عادته وهب واقفا يرتجف وعيناه تترجاني  
بجذواتهما المستعرة وأخذ يسبني بلا حساب ثم تناول هراوة  
ضخمة وقذف بها علي فلم تصبني... وكانت مباغتة أجمتني وصعقتني.  
ما هذا الانقلاب المدهش . هل هذا هو الشيخ موافى صديقي الحميم  
مثال الطيبة والوداعة .

ولما أقمت من دهشقي وجدت الشيخ يرغى ويزبد ويلوح  
بيديه مهدداً وهو يدور حول المصلى كالثور الهائج . فقفزت من  
مجلسي هارباً وخرجت أعدوني الطريق العام وأنا ألتفت خافي  
بين فترة وأخرى خشية أن يكون الشيخ متعباً أثرى . وما  
شككت لحظة في أن الرجل أصيب بنوبة جنونية على حين بفتة  
ربما أوصلته الى المارستان عن قريب . وفكرت في أن أخطر رجال  
الامن عن حالته

وفي أصيل اليوم التالي عند ما كنت عائداً من المحطة وميماً  
صوب منزلي بعد انتهاء عملي المدرسي في العاصمة وجدت الشيخ  
موافى في الطريق منتظراً قدومي ، فانزعجت وحاولت الهروب  
منه . ولكنه لحق بي وأمسك يدي وضغطها بودة واستغفار والسمع  
يترقق في عينيه وقال متلعثماً بانفعال :

— لقد قضيت اليوم كله وأنا مترقب عودتك . يا صديقي ..

ما ذا أقول لك . . هل يمكنى أن أطمع في عفوك بعد الذى صدر  
منى فى حقك أمس . . ان شئت فاضربنى . . اصغنى على وجهى  
افعل ما تشاء ولكن لا تكن حاقدًا على

وجعل يضغط على يدى باخلاص ومودة فلكنى التأثر ولاطفته  
وأنا مغمور بدهشة عظيمة وقلت له :

— ما هذا الكلام يا صديقى . هل يخطر فى فكرك أنى  
أحقد عليك من أجل مسألة تافهة كالتى وقعت بيننا أمس  
وكان الرجل يرتجف ويتصبب عرقاً ، يلتفت منزعجاً حوله  
وصدره يعاود ويهبط فى حركة شاذة فما شككت ساعة فى أنه مريض  
وأخذت أطيب خاطره بكل جهدى . وقدته الى منزلى فلما اقتربنا  
منه قامت له :

— هل لك فى فنجان من القهوة يا صديقى ؟

فاجابنى بصوت ضعيف وقد بدت تظهر على محياه أمارات  
الهدوء والاطمئنان

— بكل سرور . . . أتصدق أنى لم أذق طعاماً منذ ليلة

أمس ؟

— إذا أقدم لك شيئاً

فأبى بإشارة امتناع ضعيفة . وأخرج من عبه منديله وأخذ

يمسح به رأسه ويروّح به على وجهه . وكنا قد دخلنا المنزل فأوصلته  
الى منظره الضيوف . وأسرعت الى والدتي لأخبرها بتجهيز  
القهوة والطعام له . وبعد قليل جاءت خادمتي العجوز تحمل الصينية  
ووضعتها أمام صديقي . وما كادت تفعل حتى انهال الرجل على  
الأكل يلتمهه بشره عجيب . كأنه لم يتذوق طعاماً منذ أسبوع .  
ثم تناول القهوة فكرعها كما يكرع السكر الخمر . وبعد ذلك مسح  
فيه وأتى بحركة تدل على الرضى . وحمد الله طويلاً . ثم أخذ يحدثني  
في هدوء حديثه القديم الذى عودنى إياه . وأمضينا سهرة حاوة  
لاختلف عن سهراتنا السالفة . ولما انتهت الزيارة خرجت معه  
الى الشارع فأمسك بيدي وهزها طويلاً . ثم رأيت شفثيه تتحركان  
حركات غامضة تريدان الافضاء الى بسر هام . ولكنهما عتم أن  
رهما بشدة ليمنعهما عن الكلام . وأسرع الخطا هاربا . .

وفي مساء اليوم التالى رأيت من واجبي أن أذهب اليه  
لأؤكد له صفاء قلبي من ناحيته فقابلنى بترحاب كبير وجلسنا  
جلستنا المعهودة فى المصلى وسميرنا كتاب الاغانى . وكان صديقي  
يقرأ لى على ضوء مصباح ضعيف قراءة دلتنى على شرود فكره .  
وبغثة أطبق الكتاب وحلق فى وجهى قائلاً :

— ما رأيك فى الجن يا مجدى افندى ؟

فنظرت اليه مدهوشاً إذ كان موضوعنا الذى كنا نقرأه فى

كتاب الاغاني لا يمت بأى صلة للجن . ولما طال سكوتي أعاد سؤاله  
على صورة أخرى قائلاً :

— ألا تعتقد في وجود الجن ؟

فأجبتة على الاثر :

— الجن ! بلا كلام فارغ يا شيخ

— ولكن الله ذكرهم في القرآن

— هذا صحيح . ولكنه قال — على حسب ما أذكر — أنهم

يعيشون بعيدين عنا لا نراهم

فرأيت وجهه قد احتقن وأجابني محتداً :

— هذا غير صحيح . . غير صحيح . . . عندي برهان قاطع

يثبت أنهم يعيشون بيننا . . وأنهم .

ولكنه ملك زمام عواطفه الجامحة ولم يتم قوله بل اقتصر

على التمتة ببعض كلمات مبهمه . ورأيتة يضع الكتاب جانبا ويمسك

جبهته بيده وقد ا كفه وجهه . فقلت له في رفق :

— يظهر أنك تعب هذه الليلة يا صديقي . ألا تسمح لي

بالذهاب . يجب أن تنام مبكرا

فأجابني وهو ينظر الى الافق نظرة تلهمة :

— انى مريض . . أشعر بدوار خفيف

فقلت مسلماً وخرجت من فوري وأنا مشفق على حاله . وبعد أن قطعت مسافة غير قصيرة من الطريق تنبّهت إلى أن عصاى ليست معي واننى قد نسيتهما فى المصلى . فاحترت فى أمرى هل أعود لأخذها أم أتركها للفد . ولكنى فضلت العودة فى الحال إذ لم أكن متعودا السير ليلا فى هذا الطريق المقفر بدون عصا . وعدت أدراجى إلى المصلى وأخذت العصا وخرجت . ولكنى ما كنت أسير بضع خطوات فى الطريق حتى طرقت سمعى أنين ضعيف تبعه صوت أجش خافت فى لهجته شىء من التهديد فتوقفت عن السير وأنصت باهتمام لا يخلو من خوف . فتكرّر الأنين والتهديد فى خفوت يكاد يكون غير مسموع هذه المرة والتفت حولى وأنا مرهف الأذنين لاتبين مصدر الصوت ونوعه . أهو صادر من المنزل أم من الغيطان . أهو صوت آدمى أم صوت حيوان . أم هو حفيف الأشجار وصفير الرياح . . . وخطر فى باني فى هذه اللحظة خاطر غريب أوقع الرعب فى قلبي . فناجيت نفسى قائلاً : « أم هو صوت الشياطين السائبة فى الليل » . وكان غير بعيد عنى ساقية مهجورة طالما روى لى عنها الفتى الفلاح عزازى - بستانى صديقى الشيخ موافى - حكايات مخيفة كنت أقابلها دائماً بالسخرية . ولكنى فى هذه اللحظة لم أجرو على

الهرز بها . وقد أخذت حوادنها تمر بالرغم منى على صحيفة  
خياقي متمردة خفيفة . والتفت بحركة ميكانيكية لم يكن فى  
استطاعتى منعها — ناحية الساقية فرأيت جذع الشجرة المقطوع  
قد استطال وتفرع وتبينت فيه شبحا غامضا يومىء إلى ويضحك .  
فحولت نظرى عنه بسرعة وقفزت أعدو فى الطريق كالطريدة  
الذهورة . وضحكات الشيطان تتبعنى . وظالت على هذا الحال  
أجرى غير ملتفت يمنا ولا يسرة حتى وصلت دارى . فدخلها وأنا  
ألهث من شدة التعب وارتيمت من فورى على أول مقعد صادقى

وقطعت زيارتى عن صديقى الشيخ بضعة أيام . فجاء يسأل عن  
سبب غيبتى . فاعتذرت له بالمرض وأمضينا معا السهرة فى منظرنى .  
وبينما كنا نقسامر مسامراتنا الأدبية نظرت الى الشيخ وقلت له  
فى شىء من المداعمة المتكافئة :

— يظهر أن نظريتك الخاصة بالجن صحيحة

فاهتز على مقعده مرتجفا . ورأيت أعصاب وجهه تلعب وعينيه

ترمشان بسرعة وقال لى منفعلا :

— أحقا ماتقول

فتضاحكت متظاهرا بعدم الاهتمام . وقلت :

- حادثة تافهة وقعت لى منذ أيام ..

فدنا منى وضغط على يدي بشدة وطلب منى فى لهفة والحاح أن أروى له حادثتى . فاضطرت أن أرويها له فى شىء من التحوير بعد أن غيرت زمانها ومكانها . وما كدت أتمها حتى قفز من مكانه وأمسك كتفى بكلماته يديه وجعل يهزها قائلا بصوت عال مفزع :

- اقسم بالله أنك رأيت الشيطان

فارتجفت رعبا . وبعد أن أجلسته بجانبى سألته بصوت خافت قائلا :

-- وأنت .. هل رأيتَه ؟

فصمت برهة وعيناه القلقتان تشعان نوراً غريبا . وأخيرا أجباني قائلا :

- لم أراه حتى الآن ... ولكننى سأراه عن قريب

ثم تحرك باضطراب على مقعده وأتم قوله :

- أشعر بوجوده .. وقد سمعت صوته مرارا ... ثق بأننى

سوف أراه عن قريب عندما ينطلق أمامى خارجا من سجنه فسألته مندهشا :

— وهل هو مسجون

— طبعا مسجون و ...

ونفض واقفا بحركة عصبية قبل أن يتم جملته . ثم مد الى يده

وقال في عجلة واضطراب :

— يجب أن أتركك . ان موعد نومي قد حل

فلم أشأ أن أثقل عليه بأسئلتى . وخرجت معه حتى باب الدار .

وتكررت زيارة الشيخ لى كل ليلة تقريبا . فكنا نتمضي

السهرة فى منظرى بين حديث عن الادب أو مطالعة فى كتبه .

وقد تحاشينا فى كلامنا ذكر الشيطان . ولكننا لم نكن كسالف

عهدنا فى بهجة واطمئنان وان كنا نتظاهر فى كناية ممقوتة بظاهر

كاذبة لاتتفق وذلك القلق المستحوذ على نفوسنا . كان ينقصنا

نوع من الاخلاص تتبادله . وأضحت جلساتنا مملة فكثرت فيها

التشاؤب والوجوم وصرنا نحارب الخول المستولى علينا بشرب

القهوة بلا حساب

ومرة بينما كنت أوصل الشيخ موافى لىباب الدار بعد انتهاء

سهرته عندى رأيتنه قد توقف عن المسير والتفت إلى وقد امتنع

لونه وارتعشت عضلات وجهه . وقال :

— اسمع يا مجدى أفندى . . . عندى سر أريد أن أخبرك

به : سر كبير يعذبني عذاباً أليماً  
ولم يكذب يتم جملته حتى خنقته العبرات . وارتقى على صدرى  
ينشج كالاطفال . فشعرت كأن قلبي يتمزق . ولا طفت الرجل قائلاً:  
— فلنعد الى المنظرة يا صديقي لتستريح قليلاً ولتشرب

كوباً من الماء

فرفع رأسه من فوق صدرى وجفف دموعه وهو يقول :  
كلا . كلا . لا أستطيع . تعال زرني غداً فأفضى اليك

بسر آلامى

ثم سلم على بعجلة وخرج مهرولاً  
وفي مساء اليوم التالي ذهبت اليه فما كاد يرانى حتى قام إلى  
مسلماً ومرحباً وأدخلنى الدار معه وجلسنا فى منظرة الضيوف  
التي نقضى فيها عادة سهرات الشتاء . وأحضر صديقى كتابه وأخذ  
يقرأ لى والعجب آخذ منى كل مأخذ . وظل على حاله هذا وقتاً  
طويلاً وأنا لا أستطيع أن أفسر سر هذه اللعبة الجديدة التي يريد  
أن يلعبها الشيخ معى . أجمت هذه الليلة لاستمع لحديث كتابه أم  
لحديث قلبه . وأخيراً أظهرت له شيئاً من الضجر وقلت له مقاطعاً :  
— ألا خبرنى عن صحتك . . . أنت أحسن حالا اليوم

فأجابنى والكتاب على وجهه :

— على أحسن ما يرام  
وتابع مطالعته كأن لم يحدث شيء . ونظرت إليه غاضباً  
وناجيت نفسي :

آه لو استطعت أن أقذف بكتابه هذا بعيداً وأن أضطره  
ليكشف لي عن سره

ولكن صديقي كان متابعاً قراءته غير مهتم بشيء . ولما انتهت  
الزيارة وسلمت عليه مستأذناً ابتسمت في وجهه ابتسامة متكلفة  
وقلت له متشجماً :

— ولكنك لم تخبرني عن سر ك يا صديقي .. ألم تطلب مني  
ليلة أمس أن أحضر اليك لتفشي لي سر آلامك  
فهز يدي مسلماً وأخذ يدفعني نحو الباب وهو يقول :

— اخرج يا مجدي افندي اخرج .... ومع السلامة يا صديقي .  
فخرجت غاضباً وأقفلت الباب خلفي بشدة . وتصادف أثناء  
خروجه أن رأيت شخصاً يسير في الطريق في عكس الجهة التي  
أقصد لها . وكان عزّازي بستاني الشيخ موافى . فوقفت فلما لحني  
أقبل علي مسلماً وهو يقول :

— أهلا مجدي افندي . كيف حالك . لم أرك منذ مدة طويلة .

— ولا أنا أيضاً يا عزّازي . أين أنت . ألم تزل في خدمة

الشيخ موافى

— لقد تركت خدمته منذ شهر . ان أخلاقه أصبحت لا نطاق .

— كيف ذلك ، وأنا لا أعرف من هذا الامر شيئاً مع أنى

أقابل الشيخ كل يوم تقريبا

— المقصود . رزقنا على الله ياسيدى .

— ولكن ما سبب خروجه من عند الشيخ ؟

— لاشيء و حياة رأسك . لاشيء مطلقا . كان يشتمنى بلا

سبب . و يلعن جدودى و جدود جدودى . وأنا صامت أحمّل

شراسته من أجل أكل العيش . ولكن أخيراً لم أطق صبراً لقد

صفعتى على وجهى . و ضربتني ضرباً شديداً .. المقصود فضنا .

حضرتك راجع الى البيت ؟

— طبعاً يا عرازى

— ألا تريد أن أوصلك .. ان الطريق مقطوع . من يدري

يمكن يطلع لك « بسم الله الرحمن الرحيم » . انظر الى هذه الساقية .

انه يسكنها منذ سنين

— وهل لا تخشاه أنت ؟

— كلا . لأنى أخذت عهداً على الشيخ الرفاعى حليف

ملك الجن

— أسمع لك أن ترافقنى حتى نهاية المزارع أى الى أن

ندخل « العمار »

— على عيني ورأسي . هيا

وسرنا جنبا الى جنب وعزازى يسامرنى بمحدثه اللطيف .  
ولسكننا لم نكد نبتعد عن المنزل قليلا حتى طرق سمعى أصوات  
الأنين والتهديد التى سمعتها قبلا فى المكان ذاته وفى الوقت عينه .  
فتوقفت عن السير وهمست فى اذن صديقى الفلاح قائلا :

— ألم تسمع ؟

— ماذا ؟

— هذه الاصوات الغريبة

— هذا شىء أسمعته كثيرا انهم يقتتلون هناك فى الساقية .

وكنت متشجعا بوجود عزازى . وسمعت فى هذه اللحظة

الأصوات أوضح من الاول . فأمسكت بيد الشاب وقلت له بالحاح :

— هناك استغاثة ... انها أصوات آدمية .. يوجد أشخاص

يتعذبون ... يجب أن نبادر الى نجبتهم . يجب أن نعلم أين هم .

وشددت عزازى معى وقد خطر لى أن أرتاد منطقة الساقية

والمنزل وما يجاورها من الفيضان لعلى أكتشف مصدر هذه

الاصوات . ولكن عزازى جرنى من يدى وهو يقول ضاحكا :

— لاتتعب نفسك يا مجدى افندى . كن رجلا رزينا .

مالك ومال الجن . اتركهم فى حالهم يتركونا فى حالنا . تعال

يا شيخ وفضها

وعدنا الى السير في طريقنا . وأخذ عزازى يسامرنى من  
جديده بحديثه اللطيف

وفي مساء اليوم التالى بعد تناول طعام العشاء فى منزلى خرجت  
الى قهوة صغيرة بالقرب من المحطة لأدخن الشيئة وأفرّج عن نفسى  
بعض الضيق المستولى عليها . فرأيت هناك عامل البريد . فما كاد  
يرانى حتى هرع الىّ مسلماً . وبدأ حديثه معى على الفور قائلاً :

— ألم تر صديقك الشيخ موافى ؟

— كنت معه مساء أمس

— واليوم ؟

— لم أراه . ولكن لم هذا السؤال ؟

— لأنى مررت على منزله اليوم دفعتين لأسلمه خطاباً مسجلاً .

فلم يشأ أن يقابلنى . وقد أخبرتنى أم حسن اللبانة أنها ذهبت اليه  
عدة دفعات لتسلمه اللين والعيش . فلم يتأ أن يفتح لها . بل كان  
يصرخ فيها من خلف الباب آمراً اياها أن لاتعود

فعمجبت لرواية عامل البريد . وناجيت نفسى بصوت

مسموع قائلاً :

— ان أموراً رهيبه تجرى فى ذلك المنزل ولا ريب

— وما رأيك

— أن نذهب لثناك فى الحال .. ان قلبى يحدثنى بوقوع

كروه ... ألا توجد ركائب يمكننا استئجارها . ان المسافة بعيدة .

— يوجد عند صاحب القهوة

وذهبنا من فورنا الى صاحب القهوة واستأجرنا منه حمارين .

صحبنا معنا فتى فلاحاً صلب العود متسلحاً بهراوة ضخمة . وقطعنا

نصف الطريق فى خمس دقائق اذ كان الحماران يعدوان بنا بأقصى

سرعتيهما .. وما كدنا نصل البيت ونترجل أمامه حتى اخترق

معنا صوت رهيب صادر من المنزل يصرخ قائلاً :

— أخرج . أخرج من محبسك أيها الشيطان

فوقفنا جامدين لا تتحرك ونحن ننظر الى بعضنا فى دهشة

ورعب . وأخيراً ملكت روعى وتكلمت قائلاً :

— أقسم بالله أن هذا هو صوت الشيخ موافى .

وهرولنا نحو باب الدار وأخذنا نقرعه بشدة . ولكن الشيخ لم

يأبه بقرعنا اذ كان منصرفاً الى مناجاة شيطانه يصرخ عليه بالخروج

من محبسه . فلم نجد بداً من تحطيم الباب بفأس كانت ملقاة فى

الحديقة . ودخلنا فوجدنا الظلام الحالك يغمر المنزل بأجمعه فسرنا

نتخبط على غير هدى ودليلنا صوت الشيخ . وبعد ان اجتزنا دهليزا ضيقاً طويلاً وجدنا أنفسنا أمام حجرة أرضية رطبة . وفي لحظة كسرنا الباب ودخلنا فإذا بنا أمام مشهد رهيب : حجرة ضيقة فاسدة الهواء خالية من النوافذ تنيرها شمعة . أشبه بسجون العصور القديمة . وفي ركن من أركانها رأينا الشيخ موافى جالسا القرفصاء وإمامه هيكل عظمي ممدد على الأرض يكسوه شيء من اللحم والخرق البالية . وبجوار هذا الهيكل كوز قديم من الصفيح به قليل من الماء . ولم يكن في الغرفة شيء خلاف ذلك . فهرعنا نحو الهيكل نفحصه فوجدناه جثة لأحراك فيها بينما كان الشيخ يصرخ فينا بصوت أبح مخيف قائلاً :

لا تقر بوها . لا تقر بوها . لا تقر بوها انها رجس من عمل الشيطان .  
وقلّبت رأس الهيكل بين يدي لأتعرّف من هو . ثم صرخت في وجه الشيخ قائلاً :

— ابنتك . ابنتك . ماذا فعلت بها

فأجابني وقد بدأ يستولى عليه ذهول عجيب :

— لا شيء . قد أخرجت الشيطان من جسمها

وهبط متربعا على أرض الغرفة وأخذ يتكلم بصوت ضعيف :

لقد فاجأتها عدة مرات وهي تنظر الى عزازي نظر

كلها فجور واشتهاء . فعلمت أن الشيطان قد حل في جسمها ولن يخرج الا بعذاب ألم . فخبستها وقللت لها الطعام وبدأت تعذيبها لها . وما كنت في عملي هذا الا محارباً للشيطان . ولكنه كان قوياً يكتفي بالزاد القليل ويحتمل التعذيب بصبر غريب . فلم أجد بداً من منع الطعام عنه بتاتاً وقصره على شرب الماء . وضاعفت عليه العذاب .. وأخيراً نُجِحت في مساعي ... لقد رأيتُه الليلة بعيني رأسى يخرج من فمها على شكل دخان متلاشياً في سقف الغرفة ... فتمتمت قائلاً ورأس الفتاة بين يدي :

— كان في استطاعتي انقاذها ليلاة أمس قبل أن يقضى عليها

هذا المجنون ... ولكن .. سبق السيف العذل

وطراً على الشيخ موافى ضعف فجأى فحملناه وجئة ابنته الى

حجرة النوم . وأرسلنا الفتى الفلاح ليخبر البوليس ويستدعي أحد الاطباء ...

obeikandi.com

الى الخضير

## الى الحضيض

حدثني الراوى قائلا :

لا أستطيع أن أحدد بالضبط الوقت الذى عرفت فيه حلى .  
ولكنى أذكر أنى رأيته لأول مرة فى « لبتون » عند ما كنت  
أجتمع مع « شلتنا » يوميا نصدع رؤوسنا بمباحثنا الادبية العقيمة .  
رأيتهم مع الرفاق وسامت عليه ضمنا ثم جلست . وملت على صديقى  
حنفى وقلت له :

— من يكون هذا الافندى ؟

فابتسم وقال هامسا :

— أديب يريد الانضمام الى زمرتنا

ولم تعجبني هيئته ولكنه حرك فى قلبى نوعا من الشفقة عليه .  
فقد كان هزىلا شاحب اللون قليل الابتسام تبدو عليه مظاهر  
الصعلاكة فى كل شىء

وتوثقت بينى وبينه روابط الصداقة فعلمت أنه من ساقطى  
الابتدائية يسكن القاهرة ويتعيش من مرتب متواضع يرسله له  
والده المقيم فى الريف . وتأكد لى من أحاديثه أن معلوماته سطحية  
جدا وتافهة

وكان يأتي كل يوم محملاً بمجموعة من الكتب ورزمة من الجرائد والمجلات ويتكلم عن أشياء يسميها بالفردية . والقومية الاخلاقية . والبشرية . واللاوعي وما شابه ذلك . فكنت لا أفهم لكلامه معنى . وكان يظهر على وجهه الامتعاض اذا تحدث أحدنا حديث المجون والاستهتار . فكان الرفاق يتغامزون عليه . وكثيرا ما أخرج لي من جيبه قائمة طويلة مكتوبا فيها . . علم الاجتماع . علم النفس . علم ما وراء المادة . علم الفلك . علم اللاهوت علم التنويم المغناطيسي . علم العروض والقوافي الخ . ويقول لي في حماس وعيناه تلمعان :

-- انى أدرس هذه العلوم في جد واهتمام وسترى لي في القريب العاجل أبحاثا عميقة فيها . . .

وكنت أباغثه في حجراته الخاصة لأرى الى أى مدى وصل في دراساته وأبحاثه فأجده ملقن على الكنبه يدخن في حالة تبلد غريب وأعقاب السجائر مكومة على الارض والدخان عاقد ضبابا كثيفا في جو الحجرة والتراب يكسو الكتب والاوراق بطبقة سميقة . فلما ينتبه لوجودى يعد لي يده ويمتسم في استرخاء ويقول :

— ان العمل يرهقنى كما ترى ..

\* \* \*

وكان صديقنا حنفى قد اختص بتزويد الشلة بأخبار المسارح  
وصلات الغناء . فجاءنا مرة وقبل أن يمد الينا يده بالسلام قال :  
— خبير عظيم أيها الاخوان . لقد افتتحت الانسة كوثر  
الراقصة صالة غناء لها وجمعت فيها نخبة من أشهر الراقصات  
والمغنيات والمنوجيست فما رأيكم فى سهرة عندها هذا المساء .  
فوافق البعض واعترض البعض الآخر وبعد أن هدأت الجلبة  
تكلم حلمى ولم يكن قد تحركت شفته بشيء . وقال وعلى وجهه  
أمارات الاشتمزاز :

— من هى كوثر هذه ؟

فأجابه حنفى فى حماس :

— أشهر راقصة فى مصر بل فى العالم كله .

فقط حلمى شفته وقال :

— بل قل أكبر جرثومة على سطح الأرض .

واحمرت عيننا حنفى وقال :

— وهل تعرفها

— أو تريد منى أن أعرف مثل هذه الافاعى القذرة . لا أدرى

لماذا تسكت ادارة الامن العام عن مطاردة أمثال هؤلاء البغايا .  
فأدار حنفى ظهره له وقال موجها كلامه لنا :

مخبول . مخبول . . .

وملت على حلمى وقلت له :

— ولكنك سترافقنا على أى حال .

فأظهر سخطا شديدا ورفض رفضا قاطعا . ولكن بعد محاولة  
بسيطة منى قبل أن يذهب معنا وكانت حجته فى ذلك أنه فى حاجة  
لدرس هذه البيئة المنحطة وكتابة بحث تحليلى عنها .

وذهبنا الى الصالة . ورقصت الأنسة كوثر فى تلك الليلة  
رقصا أقام جمهور المتفرجين وأقعدته وضج المكان بالتصفيق وأصوات  
التهليل . وسألت حلمى مستظلمة فقال :

— ياله من جمهور سخيف . .

وعادت كوثر الى رقصها وأخرج حلمى جريدة من جيبه وجعل  
يطلع فيها . ولاحظت عليه أنه كان يخنس النظر الى الراقصة  
بميون تلمع فيها الرغبة المكبوتة . ولكنه كان ياتفت الى من حين  
لآخر ويقول متمملا :

— ألا تنتهى هذه السهرة ؟

فصرخ فيه حنفى قائلا :

- وما الذى يمنعك من الخروج . ان الباب يرحب برحيلك

فأجابه حلمى وهو ينظر اليه فى احتقار :

-- سأخرج عندما أريد أن أخرج ..

وعاد الى جريدته يطالع فيها .

وكننا على أبواب الصيف وقد بدأ الناس يهجرون العاصمة

الى الثغر . وانتقلت الوزارات الى مصيفها فى بولسكلى وكنت

إذ ذاك موظفا فى الخارجية وأسعدنى الحسب أن أكون ضمن

الموظفين الذين اختارهم الوزير ليعملوا معه فى اسكندرية

وعلمت أن بعض الرفاق سافر الى رأس البر والبعض الى

الريف وبقى الآخرون فى مصر ملازمين لبتون . وانقطعت أخبار

الجميع لأننا كنا مضر بين عن تبادل الخطابات .

ومن الغريب أننا لم نتفق على شىء اتفقا على هذا الاضراب .

وحزت الايام . وبينما كنت أركب ترام الرمل من سان

استفانو الى البلد فاولنى أحد الغلمان اعلانا من اعلانات المسارح

استلفت نظرى فيه صورة مكبرة عرفت صاحبيتها لأول وهلة .

فنشرت الاعلان أمامى وأنا أبتسم وقرأت :

## الآنسة كوثر

الراقصة العالمية المشهورة

تحبى الاسكندرانين السكرام وجمهورز بائنها المصيفين  
وتخبرهم بانها اعزمت قضاء شهر أغسطس بأكله  
فى الثغر

تعالوا شاهدوها مع فرقها العظيمة فى

تياترو البلفى

كل مساء

كل مساء

وبعد أن تأملت الاعلان برهة دعكته فى يدي ثم قذفت به  
من الترام . وأخذت الاهرام من جانبي وبدأت أطلعه .  
ولما وصل الترام محطة الرمل قصدت الى محل أتينيوس  
فوجدت الاستاذ برتران المحامى فى المختلط ينتظرنى . وكنت على  
ميعاد معه لدرس النزاع القائم بينى وبين مدام « دينا » بخصوص  
ايجار منزلها .

وبينما كنت مهتما بشرح مسألتى للاستاذ اذحانت منى التفاتة  
فوجدت شخصا مهندياً يدخل القاعة استرعى انتباهي .. وبغثة  
صحبت فى عجب

- حلمي

فالتفت الى . ثم دنأ منى مبتسما وهو يخطر فى بدلتة الرمادية الأئبة ذات الكرافت الاحمر والمندبل الذى من نفس اللون . وكان طربوشه معوجاً فى رشاقة . وراعنى تلك الرائحة الجميلة التى كانت تتضوع منه . وسلم على فى شوق وأنا أنظر اليه مبهوراً . وبعد أن تبادلت معه كلمات السلام والسؤال عن الصحة قلت له :

- أممزم الإقامة طويلا فى الشجر ؟

- بضعة أيام

- فقط ؟

- ربما مكثت أسبوعا على الاكثر

- والاخوان كيف أحوالهم .

- لم أقابلهم مع الاسف من مدة .

- ولا حنفى ؟

قلت ذلك وأنا أبتسم اذ كان معروفا عندنا أنه وحنفى

لا يتفقان على رأى . ويقوم بينهما دائما نزاع مستمر . وكنا نسميهما

بالضراير . فابتسم ابتسامة خاطفة . وحول نظره عن نظرى وقال :

- أراه أحيانا فى صالة كوثر .

فقلت وقد ازداد عجبى منه :

- أو تردد على صالة كوثر الآن ؟

فأمسك بيدي وقال بعد تفكير قليل :

— اننى أدرس هذه الاوساط . أدرسها جيداً

وهزّ يدي وقال فى ابتسام :

— سأراك بالطبع . أين تسكن ؟

— شارع ابراهيم باشا الديق بمحطة ثروت باشا

— اذن أورشوار

— أورشوار

وعدت الى الاستاذ برتران وتابعنا حديثنا عن منزل مدام

« دينا » . . ولما انتهيت ودعته وخرجت . وذهبت الى شارع

سعد زغول لآتمشى فيه قليلاً . ولاتفرج على واجهات دكا كينه .

ولم أشعر إلا ويد وضعت على كتفى فالتفت فاذا بحنفى . فصحت

على الفور :

— الله . وانت أيضاً هنا !

فأجابنى بدون امهال :

— أظنك قابلت حلمى ؟

— كان معى منذ برهة فى أتينوس

وأمسكت بيده وهزّزتها وأنا فى سرورٍ كبيرٍ وقلت :

— والله وحشتنا جداً يا حنفى

وكنيت أحب حنفي وأفضله عن بقية الاخوان لطيفة قلبه

وهيله للمرح والنميمة

وتابعت حديثي معه قائلًا في دعابة :

— أظنك أتيت مع حلمي في قطار واحد ؟

— هذا هو الواقع

— مدهش .

— ليس هناك أي دهشة اذا علمت أننا نلازم بعضنا الآن

ليل نهار

— كلام جد ؟

— غاية في الجدة . . انما نحن مع ذلك أعداء

— ما هذه الالفاز ؟

— ألا تعلم أننا نتنازع نحن الاثنان حب غافية واحدة . .

فقلت بلا تفكير :

— كوثر ؟

— مظبوط . .

فانفجرت ضاحكا حتى ادمت عيناى وقلت :

— ولكن لمن الخطوة ؟

فنظر حنفي الى السماء وقال :

— اللثيمة تمهد المال . . وأنا كما تعلم على أد حالي

— وحلمي ؟

فحذق في وجهي في جد واهتمام وقال :

— لا أدري من أين يأتي بلمال . . لم أكن أصدق في حياتي

أن هذا الصعاوك الغبي سيفيدو يوماً ما منافسي

وعزمته على العشاء في مطعم جيو فانيدس . وقضينا الوقت

تحدثت عن حلمي وعن منافسته له في حب كوثر . ولما انتهينا من

الطعام أوصلت صديقتي الى صالة البانفي ودعاني لمصاحبتة فاعتذرت

بمختلف الأعذار وودعته على أمل اللقاء في اليوم التالي .

ومن سوء حظي أن جدت عندنا في وزارة الخارجية أشغال

اضطرتني وبمض زملائي على العمل الى ساعة متأخرة في المساء أياماً

متواليه . وحل يوم الجمعة فأحببت أن أقضيه كله في البيت متمتعاً

بالوحدة والكسل . وتمنيت أن لا يقلق راحتي أحد . ولكن في

الساعة الثالثة بعد الظهر بينما كنت مرتدياً بيجامتي ومتمدداً على

الشيزلوج أتصفح في تراخي « المصور » إذ دخل علي حمزة

السفرجي وقال لي وهو يقدم بطاقة :

— ان البيك صاحب البطاقة منتظر سعادتك في حجرة

الضيوف ويلح في مقابلتك لأمر هام .

فأخذت البطاقة منه وألقيت عليها نظرة خاطفة وأنا أدمدم .

— حلمى .

ثم رميتها جانباً . وقت وأنا أتمطى . وقلت لحمزة :

— أخبر البك بأنى حاضر اليه . واعمل القهوة على عجل .

وذهبت الى حجرة الضيوف فلما رأنى حلمى قام مسلماً فى

ترحاب كبير وقال لى :

— آسف إذ أنى أزعجتك

— مطلقاً . وأرجو أن تعذرنى لمقابلتك فى هذه الهيئة الغير

المحتشمة .

— اوه .

وكان حلمى مرتدياً بدلة غير التى شاهدها عليه فى اتينيووس .

لونها كحلى وغاية فى الاناقة . وكان يتضوع منه نفس العطر الجميل

الذى شممته منه فى مقابلتى الاولى .

وبعد مقدمة وجيزة قال لى وهو ينظر أمامه :

— لقد جئتك فى مسألة هامة

— خيراً إن شاء الله

— أنا مضطر الى العودة اليوم الى مصر لمقابلة والدى .

ومحتاج الى سلفة خمسة جنيهات لأسدد منها حساب اللوكاندة

ومصاريف السفر . سأردها اليك حال وصولى مصر وان أردت

أرسلتها لك بالتلغراف ، لم أكن أرغب في مضايقتك بهذا الطلب  
ولكنك تعلم اننى لا أعرف أحداً أستطيع أن أركن اليه في هذا البلد  
سواك . وقد طرأت على ظروف تربية أتت على كل ما عندي . .  
كن واثقاً أن المبلغ سيصلك غداً . .

وتذكرت جملة حنى التى قالها لى فى شارع سعد زغول  
وهى : لا أدرى من أين يأتى بالمال . ولكن حلمى اندفع فى كلامه  
وأخرج لى من جيبه برقية أراها لى فاذا بها من والده يعلمه فيها  
بقدمه الى القاهرة . ثم ناولنى خطاباً قال لى انه من أبيه أيضاً  
وأشار لى على جملة يقول فيها : أما المبلغ فسأعطيه لك فى مصر  
عند مقابلتى لك . واختلطت فى رأسى الافكار . ولم أشهر إلا  
ويدى تخرج المحفظة من جيبى وتناول حلمى ورقة مالية من ذات  
الخمسة جنيهات . ورأيت حلمى يهز يده شاكراً ويقوم نحو  
الباب وأنا بجانبه وكان يقول لى :  
— كن واثقاً أن المبلغ سيصلك غداً ...

وعدت الى حجرة نومي وأنا منقبض النفس . وصرخت  
على حمزة السفرجى وقلت له غاضباً :  
— إياك أن تزعجنى فى راحتى بعد الآن . اذا جاء أحد  
يطلب مقابلتى فأخبره بأننى غير موجود

وأغلقت باب الفرقة بشدة

وانقضى أسبوع على مقابلي هذه المني ولم يصلني أي شيء منه . ورأيت حنفي مرتين ولكني لم أكتشفه بكامة في الموضوع . وبينما كنت ذات مساء في الكازينو جالسا مع بعض زملائي في الوزارة رأيت حلبي سائراً مع زمرة من الرفاق الذين يدل مظهرهم على أنهم من لا يشرفون الانسان بصداقتهم وكان الجميع يتكلمون بصوت عال ويضحون بالضحك والتسكيت ورأيت حلبي ولكنه حول رأسه سرعياً واختفى مع زملائه في جمهور المتزهين . فثعرت باشمزاز منه . وعولت على أن أتجاهله هذا المساء

وسرت الايام وقابلته مرة أخرى على رصيف الميناء الشرقي في الموضوع الذي أمام « التريانو » وكنا وجهاً لوجه فتقدم نحوي مهللاً واندفع يتكلم عن أشياء بعيدة كل البعد عن موضوع الخمسة الجنهيات وعن تهربه مني في الكازينو . ثم هز يدي واختفى . وتابعت سيرى وأنا أتسم في امتعاض وتعجب .

وانقضى الشهر الذي اعتزمت كوثر أن تمضيه في الشهر . وعادت بفرقتها الى العاصمة ولم أهدأر أثراً لا لحنفي ولا لحلبي ..

وانتهى موسم الاصطياف الحكومى وانتقلت الوزارات الى مقرها الشتوى فى القاهرة . وحدثت لقابلة الشلة فى لبتون فوجدتهم كلهم لا ينقصهم الا حلمى . وروى لى الاخوان اخبارا غريبة عنه . فقد اختلس من بعض اقاربه مباناً لا يستهان به وزور مرة امضاء والده .

وحدث مرة وأنا مار فى شارع المغربى إذ رأيت حلمى . وكنت لم أشاهده منذ شهر . ولحنى فدنا منى وسلم على وكان مرتدياً هذه المرة بدلة الرمادية التى رأيت به فى اتينىوس . وكانت قدرة غير مهندمة فسلمت عليه فى اقتضاب وبرود و تابعت سيرى غير ملتفت اليه ولكنه سار بجانبى صامتاً . وقضينا بضع دقائق ونحن لا ننبس بكلمة . وتظاهرت بعدم الاهتمام به . وأخيراً ألقى على وهمس فى أذنى :

— أنا معدور فى ريال .. ريال واحد

وهبت على رائحة أنفاسه المخمورة . والتفت نحوه وأنا عازم على طرده . فقابلتنى عيناه المربدتان الذابلتان . وكان وجهه هزيبلاً محتمناً مخططاً بتجاعيد متزاحة . ولاحظت أن شفثيه تتحركان . فهل كانتا ترتعشان أم كانتا تلفظان بعض الكلمات الغير المسموعة . وتجسم أمامى فى شخص حلمى البؤس والتدهور فى أقصى معانيهما

فخففت بصري وأخرجت الريال من جيبى ومددت له يدي  
فحطفت الريال مني متلهفا . وهو يردد لي كلمات الشكر . وأسرعت  
في مشيتي مبتعداً عنه وأنا أشعر بكابوس جاثم فوق صدري  
وصرت الايام . ولم أعد أرى حلمي . وبدأت أنساه . وكنت  
ليلة في بار اللواء مع الشيخ الزيني شيخ الطريقة الحسينية أناقشه في  
بعض المسائل الدينية . وكان من عادتي أن أمر على بار اللواء مرة  
في الاسبوع لأقضي السهرة مع صديقي الشيخ الذي جعل محله  
المختار هناك . ورأيت بغتة حلمي أمامي . ولا أدري من أين أتى .  
وتقدم نحوي بلا سلام ومال على وقال :

— أرجو أن تسمح لي بيبضع دقائق ..

ونظرت اليه متضايقاً فتابع حديثه قائلاً :

— اؤكده لك أنني لن أطلب منك مليماً واحداً

وكان نظره قلتماً وعضلات وجهه تلعب في حركة آلية .

فاستأذنت من الشيخ وسرت معه حتى نهاية القهوة . ووقف هناك

وقال لي وهو ينقل بصره من موضع الى آخر :

— لقد صار لي الآن ثلاث ساعات وأنا أبحث عنك

فقلت له :

— ولكن لأي غرض ؟

فأمسك يدي وشد عليها شداً عصبياً وقال :  
— أنا على حافة الهاوية فإذا لم تتقدم وتنقذني سقطت الى

الخصيف

— أفصح ؟

— لم أفكر إلا فيك دون أصدقائي كلهم أو قل من تبقى لي  
من أصدقاء . . . احمني من نفسي . خذني عندك وقيدني وانزل  
عليّ من العقاب ما أستحقه بشرط أن تشفييني  
— من أي شيء ؟

— قلت لك من نفسي . . أنقذني منها . .

وبدأ صوته يعلو متهدجا وعيناه تتندى بالدموع . وتابع كلامه  
وهو في انفعال شديد قائلاً :

-- أشعر بكره شديد لشخصي . . لقد أصبحت رجلاً دينياً

محطاً سافلاً مسلوب الإرادة . .

أخذ يصرخ وهو يبكي قائلاً :

-- قلت لك أنقذني . . أنقذني . .

وبدأ الناس يلتفتون نحونا . وحاولت أن أهدئه ولكن  
بلا جدوى . وأخيراً رأيت عربة أجرة مارة بجوارنا فأوقفها  
وأركبته فيها وأنا معه . وسرنا ووجهتنا منزلي . وبدت حالته

تهدأ تدريجياً . وكان يتمم وهو يشد على يدي  
— لا تتركني . لا تتركني .

ووصلنا الى المنزل ودخلنا وجاست أمامه في حجرة  
الضيوف وقلت له

— أوضح كل شيء :

فأخرج من جيبه خطابا أعطاه لي وقال لي :  
— اقرأ

وقرأت الخطاب فإذا به من والده ينذره فيه إنذارا نهائيا  
مصحوبا بأقسام غليظة بأنه ان لم يسافر اليه في أول قطار من مصر  
فانه سيعلن الى الملا تبرؤ منه وسيحرمه من كامل حقوقه في كل  
ما يملكه . وكانت طهجة الخطاب شديدة للغاية فالتفت اليه وقلت :

— وعلى أي شيء عزمتم ؟

— لا رأي لي ولا عزم . تركت كل هذا لك .  
فصمت برهة أفكر . ورأيت من واجبي أن لا أخيب ظن  
هذا البائس التعس في فالتفت اليه وقلت :

— اسمع يا حبي . أرى أن تبديت عندي هذا المساء ثم نسافر

سويا الى والدك في الصباح المبكر . واني كفيل باصلاح كل شيء  
يجب أن تبدأ حياة جديدة

فأجابني في لهجة ذليلة وهو مطأطئ الرأس :

— قابل بكل شيء

— اتفقنا

وناديت على حمزة السفرجى وطلبت منه أن يهيء فراشاً  
لحلى فصنع بالامر . وهياً مرقداً وثيراً على إحدى الكسبات

العريضة . ودنوت من حلى ولاطفته على كتفه وقلت :

— سأتركك لتنام فأنت في حاجة الى الراحة .

فنظر الى قلقاً كالطفل الذى يخشى النوم فى الظلام منفرداً

وأدركت مايجول بخاطر د فأتممت كلامى قائلاً :

— وسينام معك فى نفس الحجرة حمزة السفرجى . وإذا

احتجت لشيء فما عليك الا أن تطلبه منه . هدى روعك وتم

مستريحاً . .

فهز يدي بلا كلام وخرجت وفى اثرى حمزة ولما صرفنا

منفردين قلت للسفرجى :

— هنا شاب مسكين مصاب بضعف الاعصاب كن لطيفاً

معه وقم على خدمته كاللازم ثم ناولته بيجامة من بيجاماتى وقلت له :

— واذهب بهذه اليه . . وجهز لنا فى الصباح المبكر فطوراً

جيداً فسنسافر فى قطار الساعة الثامنة

وخرج حمزة السفرجى . وبدأت أخلع ملابسى استعمدا  
للخوم وأنا مفتبط من نفسى نفور بعملى .  
وفى اليوم التالى استيقظت من النوم على دق على الباب  
وصوت حمزة يقول لى فى لهجة غير عادية :

— سيدى . سيدى

وكانت الساعة السادسة فقممت من السرير وفتحت الباب وقلت:

— ماذا ؟

فبادرنى بقوله :

ان الضيف غير موجود

فدهشت وقلت:

— كيف ؟

— غير موجود يا سيدى . قد بحثت عنه فى كل المنزل فلم

أعثر عليه

وذهبت من فورى الى حجرة الضيوف فوجدت الفراش

خاليا وملا بس حلى مكومة بجواره فقلت لحمزة :

— لقد خرج بالبيجاما إذن ؟

— هذا ما أعتقد .

— ولكن ألم تحس بشئ وأنت نائم ؟

- مطلقاً

وكننت على وشك أن أرسل الخادم ليبلغ البوليس . ولكن حانت منى التفاتة نحو المائدة الصغيرة التي كانت يجوار الفراش فأبصرت عليها ورقة استرعت انتباهي . فأخذتها وقرأت فيها ما يأتي :

لن أطمع في عفوكم بعد الآن وشكراً لك .

حامى

فصمت وأنا أبتسم ابتسامة صريخة . ثم قلت للخادم :  
— اجمع ملابسه في صرة واذهب بها بعد انتهاء عمالك الى  
حجرتة بشارع المديولى رقم ٧٠ .

\* \* \*

و شاءت الظروف أن أعين قنصلا في بيريه بعد هذه الحادثة  
بأيام . وشدت الرحال الى مقر وظيفتى . ومكثت فيها عاماً كاملاً  
ثم عدت بالاجازة الى مصر .

وفي اليوم التالى لقدومى ذهبت الى لبتون لأرى الرفاق  
فقابلونى فى تهليل كبير . وجلست أحدثهم عما رأيت فى بلاد اليونان  
وجعلوا يروون لى ما وقع فى مصر أثناء غيبتى . ولم نتكلم عن  
حامى بكلمة إذ كان موضوعه خارج دائرة تفكيرنا . وبعد العشاء

اقترح علينا حنفي أن نذهب الى إحدى صالات الغناء . فقلت له  
وأنا ابتسم :  
— أما زلت غارقاً في الصالات ؟

— وهل يوجد شيء يستحق الفرجة غيرها .

ومشينا حتى وصلنا الصالة وتقدم حنفي وأخذ لنا التذاكر  
وسرنا نحو الباب ورأيت أثناء دخولي شخصاً ملطوعاً بجوار  
الحائط في حالة تبدد كأنه نعلان . وخيل لي أنني أعرفه . وكانت  
هيئته زرية للغاية . يلبس جلباباً قديراً عليه جاكته لا تصلح مسحة  
للبساط . وكان يتشاءب في هيئة كريمة و بصوت بشع . ويتجشأ  
بين حين وآخر . وخطر على بالي خاطر ان تجفت له وسألت على  
الفور حنفي وأنا أشير له في انفاء على هذا الشخص فقلت :

— من يكون ؟

فأجابني بلا مبالاة وهو يدفعني للدخول :

— ألا تعرفه ؟ أترأه قد تغير الى هذا الحد ؟

فتمتمت وأنا أشعر بغصة في حلقى

— بل أعرفه أعرفه

وبدا التمثيل فظهرت معنية مضتتنا حيناً بأهاتها المبتدلة ونغماتها

المملة ، ثم ظهر منولوجيست القى منولوجاً سقيماً لا أدري كيف

احتملته حتى النهاية . وتبعته راقصة كانت تغني وتشوح بيديها  
وتلعب بخصرها في حركات توجب الرثاء . . .

ولما تم التمثيل وخرجنا وجاءت حلوى ملطوعا في موقفه الذي  
شاهدته عليه وأنا داخل وكان كإترسكته غارقا في تبلده يتجشأ  
ويتثأب في شكل بشع . وتخلقت عن الجماعة وذهبت إليه فعرفني  
ورأيت شفتيه المصفرتين تنفرجان عن ابتسامة صريضة وسعمت صوته  
يقول في حشجة :

— الحمد لله بالسلامة

ثم مد لي كفه في شكل فهمت منه غرضه . فأخرجت من  
جيبى قطعة من ذات الخمسة قروش ووضعها في يده . كل ذلك  
وأنا صامت . وتركت الصلاة وأنا مشمئز من العالم كله . . .

obeikandi.com

أبو علي  
عامل ار قست

## أبو علي عامل ارتست

- ١ -

كان حسن عبد الكريم المشهور « بأبو علي » فقي يتما يعيش مع عمه وعمته في منزل واحد يشتغل في دكان عمه ، يبيع أصناف البقالة ويعمل حساب اليومية . يقضى أيامه هائناً بحياة هادئة لا تتغير . من المنزل الى الدكان ومن الدكان الى المنزل . ويقوم بفروضه الدينية من صلاة وصيام وما شابههما على الوجه الامثل مما جعل عمه يثني دائماً عليه ويدعوه .

وقد تعلم حسن في المدارس الابتدائية . ووصل الى السنة الرابعة ولمسكنه لم يتعدها . وعمل المستحيل سنين متواليه لينال الشهادة الابتدائية فلم يوفق . فألحقه عمه بالدكان وأشركه معه في العمل . وكان قزما مشوه التركيب هزيل الجسم بيدين طويلتين كيدي الفور يلا . ووجه مستطيل أعجف بأنف طويل مدلى على فمه وعينين غائرتين في حذقتيهما

وحدث أن تعرف حسن بفقي يدعى عبد الواحد ممن لهم صلة بدور التمثيل . شاب خامل يعيش عائلة على أمه وليست له صناعة

نكسب منها . قنع من دنياه بنهار يمضيه متسكعا على القهاوى و ليلة  
نضيتها فى احدى دور التمثيل .

وتوثقت بينهما أواصر الصداقة فكانا يتقابلان كثيرا فى  
لذكان ويقضيان سويا أوقاتا سعيدة . وكان حديث عبده الواحد  
مع حسن لا يتعدى دائرة التمثيل . وعبده الواحد لا يجيد التكلم الا  
هذا الموضوع وله باع طويل فيه . وكان يروق لحسن حديث  
صديقه فینصت له فى اهتمام . واستطاع فى مدة قليلة أن يلم بكل  
كبيرة وصغيرة عن المسارح المصرية . وازداد شغفه بحديث  
صديقه فكان يستزيده القول دائما ويمطره بوابل من الاسئلة .  
ويستعير منه كل ما يقع تحت يده ( يد صديقه ) من روايات  
مطبوعة أو منسوخة أو مقالات نشرتها الصحف عن التمثيل ويقراها  
فى سرور كبير .

ومرت الايام على هذا المنوال ردحا من الزمن .  
والتفت حسن الى صديقه مرة وقال له :

— وددت لو استطعت أن أشاهد التمثيل مرة فى حياى .

— ومن يمنعك ؟

— ربما عى

— أترىد أن أتوسط لك فى الامر . ان عمك يثق فى .

فتهلل وجهه حسن وقال لرفيقه بلهفة :

— افعل وشكراً لك

وقام عبد الواحد من فوره وقابل « العم » وشرح له الموضوع فرفض الرجل الطلب ممزراً رفضه بأن التمثيل بدعة من البدع . ولكن عبد الواحد أكد له أن اعتراضه في غير محله إذ أن دور التمثيل أشبه في زمننا الحاضر بدور العلم يتلقى فيها الجمهور الحكمة والفضائل . ولفد إلحاح ورعاء عظيمين قبل العم أن يسمح لحسن بمرافقة عبد الواحد . فطار حسن فرحاً وقبل يد عمه . ثم اتحن بصديقه ناحية منفردة وسأله في انفعال :

— متى نذهب ؟

— اليوم في الساعة التاسعة

وبعد صلاة العشاء خرج الرفيقان قاصدين دار التمثيل حيث كانت تمثل جمعية أنصار التمثيل رواية « الممثل » . وكان عبد الواحد يشرح لرفيقه أثناء الطريق موضوع الرواية ويهيء ذهنه لكل ما سيراه .

ودخلا الصلاة بلا تذاكر إذ كان عبد الواحد معروفاً من

الجميع . وأخذ حسن يدور بعينيه حوله في حيرة و إعجاب

وبدأ التمثيل وحسن يزداد دهشة وافتتاناً بما يراه . وبين

الفصول ذهب به عبد الواحد داخل المسرح وجعل يفرجه عليه  
وكما مرا بممثل في بزته الغريبة وقف حسن أمامه يعمن النظر فيه  
بدهشة . ومال على زميله مرة وهمس في أذنه قائلاً :

- أكاد لا أصدق أن هؤلاء الممثلين من البشر .

فابتسم عبد الواحد وقال :

- ولماذا ؟

- ألا تحس بشيء غريب ينبعث منهم ؟

- شيء غريب

- شيء لا أستطيع أن أصنه لك بلساني ولكنني أحس

به بروحي .

وانتهى التمثيل وخرجا صامتين . وأخيرا قال حسن :

- وهل يمكنك حقاً أن تحضر التمثيل كل ليلة ؟

- هذا إذا أردت . ولكنني لا أفعل

- أنت سعيد جداً يا عبد الواحد . ولكنك مع الاسف

لا تقدر هذه السعادة

واستطاع حسن أن يحضر التمثيل بعد ذلك عدة مرات .

ومرت الايام . ولوحظ عليه بعض الاتقباض والنفور من الناس .

وكان يعمل في الدكان بلا نشاط . واذا أقلقه أحد هم وهو غارق في أحلامه صاح متدمراً ساخطاً .

وقال له عمه مرة وهو يلاطفه :

— اذا كنت مريضاً يا حسن فاذهب واسترح اليوم في

البيت .

فأنكر حسن مرضه في شيء من الجفاء . ورفض أن يذهب

الى المنزل

ولاحظ عمه أنه بدأ يتغيب ليلاً بدون إذنه . وخامره الشك

في أمر هذا التغيب وأنه ربما يكون من أجل التمثيل فمنعه عن السهر وشد عليه المراقبة

وشاهده بعضهم يخفي كتاباً صغيراً في جيبه . ويخرجه ليحفظ

منه كلما سنحت له الفرصة بذلك

وجاء يوماً عبد الواحد فأخذه حسن من يده ودخل به الى

مخزن الدكان المظلم وقال له بلهجة المنتصر :

— لقد حفظتُ الرواية بأسرها

— أى رواية ؟

— رواية « المنل » التي أعرتني إياها

— آه . ولكنك لم تحدثني عن ذلك قبل الآن

— حفظها كلها . . . انتظر  
وأخرج من جيبه الرواية وفتحها اعنباطاً وناولها لصديقه  
وقال له :

— استمع لي  
وجعل يلقي عليه بغض أدوار الرواية القاءً تمثيلاً وعبد الواحد  
يستمع له في اندهاش  
ولما انتهى قام اليه عبد الواحد وعانقه وهو يقول له :  
— أحسنت كل الاحسان يا حسن . ولكن كيف استطعت  
أن تجيد التمثيل هكذا ؟

فرفع حسن رأسه وقال :  
— ان التمثيل هبة يمنحها الله لمن يشاء  
وصمتا برهة ثم قال عبد الواحد :  
— انهم سيعيدون تمثيل رواية « الممثل » عن قريب فما  
رأيك في الظهور مع فرقة الجمعية في الدفعة الآتية ؟

فلمعت عينا حسن وقال :  
— لا بأس . أقبل . . انما  
— انما عمك . . اليس كذلك  
فاجاب حسن محتدا :

— كلا . سأذهب رضى عمى أم رضى  
ومرت الأيام وحسن يذاكر فى الرواية ويحبس نفسه فى  
مخزن الدكان المظلم ليتمثلها بمفرده أو أمام صديقه . وكان عبد الواحد  
قد اتفق مع الجمعية على أن تقبل حسن ضمن أفراد الكومبارس  
ليليلة التمثيل

وظهر الإهمال على كل أعمال حسن ولم يمد يدهم بفروضه  
الدينية . وأخذ يتغيب أحياناً عن الدكان . ونبهه عمه الى ذلك  
فى شدة وحذره عاقبة الأمر . ولكن حسن لم يبال بنصائح  
عمه فكان ينسل من الدكان مع صديقه عبد الواحد ليحضر  
بروفات الرواية .

وحدث مرة أن جاء الدكان عبد الواحد وبدأ يتهامس مع  
حسن فقام اليه العم غاضباً وطرده فى الحال واتجه الى حسن  
فضربه قلمين حارين على صدغيه

وحلت ليلة التمثيل . وأقفل الشيخ مبروك ( العم ) دكانه  
وعاد الى المنزل مع حسن . وبعد العشاء دخل الرجل حجراته  
وجاءته أم خليل زوجته بالقهوة . وكان حسن يعلم أن العم متى  
دخل حجراته وبدأ قهوته وصلاته فلن يخرج منها إلا فى صباح

اليوم التالي . فاطمأن قلبه وخلع حذاءه وانسل من المنزل  
انسلاخ اللصوص .

وكان عبد الواحد ينتظره أمام دار التمثيل .

ودخل حسن المسرح من باب الممثلين وقلبه يدق وعينه  
تلهعان . وحشروه ضمن الكومبارس . وكان أحد أفراد الفرقة  
منشفلا بالباسهم ملابس التمثيل وعمل الماكياج لهم . وارتدى  
حسن بدلته وهو لا يصدق عينيه ثم دهنوا له وجهه وأفهموه ما يجب  
عليه عمله . وانتحى حسن برقيقه وقال له :

— أتعلم يا عبد الواحد ان أكبر وأعظم ساعة في حياة  
الممثل هي تلك التي يقفها أمام المرأة وهو خاضع لعملية الماكياج .  
وبدأ التمثيل . وانشغل حسن بتلقي التعليمات والظهور أمام  
الجمهور . وكان كلما خلا بنفسه قصد على التوحجرة الكومبارس  
وعدل هندامه أمام المرأة وخطا بعض خطوات في الفرقة في  
رزافة وكال ويده على مقبض سيفه . ولما انتهى من التمثيل خرج  
من المسرح وهو في حالة ذهول يسير مقطب الحاجبين . وكان  
عبد الواحد يكلمه بدون أن يحظى منه بجواب وأخيرا عيل  
صبره والتفت إليه وقال له :

— مالك لا تتكلم . . هل أنت مريض ؟

فأجاب حسن في اقتضاب . غير ملتفت الى صديقه :  
— كلالست مريضا . . انما أفكر . أفكر في أشياء عظيمة

— ٤ —

و بدأت حالة حسن النفسية تتطور تطورا سريعا . فكبرت  
هو اجسه و ككثرت أحلامه فكان يرى في نومه أنه يمثل دور  
« دافيد جرك » بطل رواية الممثل أمام حفل عظيم من الناس  
يصفقون له ويهللون في حماس كبير . وأخذ لا يعبا بنصائح عمه ولا  
بضربه فكان يهرب من الدكان ليقابل صديقه عبد الواحد في حضرة  
البروفات نهارا وحفلات التمثيل ليلا . وبدأ يشعر بمحومعه باختقار  
زاعما أنه جهول رجعي غبي لا يفهم في الفن شيئا . وكان يقف في  
الدكان وقفة المتأفف ويمس بامتهان كرامته وهو يبيع الجبن والزيتون  
لازبائن . وازدادت شعورته فأخذ يخلق ذقنه وشاربه كل يوم  
لنزدادا اخضرارا . وكان يقف الساعات الطوال أمام مرآته  
المكسورة ويشد جلد وجهه ويثنيه على بعضه ليعمل على كرمشته  
زاعما أن وفرة التجماعيد في وجه الممثل دليل على عبقريته . وقد  
استطاع أن يحصل على بدلة قديمة مهلهلة من بدل التمثيل فكان  
يلبسها في حجرته ويمثل بها بعض أدواره المحبوبة . وتملكته

شهوة التمثيل فكان يحبس نفسه في مخزن الدكان المظلم في الاوقات التي تقل فيها حركة البيع وينطلق يمثل حتى ينهكه التعب . ويخرج يستقبل الزبائن بوجه محتقن يتصبب عرقا .

وتعرف حسن الى كثير من الادباء والمثليين . فكان اذا رآته فئة منهم طلبوا منه أن يلقى أمامهم شيئا مما يجيده . فكان يتعزز طويلا ثم يقوم بغتة ويندفع في التمثيل متحمسا حتى اذا ما انتهى قابله بعاصفة من التهليل والتصفيق والضحك

وحدث مرة أن اشتدت حماسه في التمثيل أمام بعض معارفه وكانوا مجتمعين في قهوة صغيرة من قهاوى شارع عماد الدين . وازدحم المكان ببعض المارين جاؤا من الشارع على أثر معامهم صياح حسن العالى . وما كاد ينتهى الفتى من تمثيله حتى علا فى الجوتهليل الحاضرين . وقام أحدهم الى حسن وصافحه مصافحة حارة وهو يقول له :

— لقد أبدعت يا أستاذ ابداعا يقصر لسانى عن وصفه فأهنتك

من كل قلبى

ثم التفت الى الجمع المحيط بهما وقال :

— ألا حيوا معى هذا الفنان ولنصح جميعا : فليحى أبو على

الممثل التراجيدى الكبير .

وأخذ القوم يرددون هذا النداء وهم يتغامزون . ثم حمله  
الشخص الاول وجعل يطوف به القهوة والكل خلفه يصيحون .  
وأخيرا هدأت الجلبة وجلس حسن على مقعده وهو يجفف عرقه  
ووجهه يطفح سرورا وانفعالا . ثم اشتبك الحديث بينه وبين  
المحتفلين به فأخذ يتحدثهم عن التمثيل حديثا مستفيضا . وقال له  
الشخص الاول :

— لأدرى لماذا لا تعمل يا أستاذ في التمثيل عملا جديا  
— عملا جديا ..

— أجل ان لك مواهب كبيرة فلماذا لا تستخدمها ..

فصمت حسن برهة ثم قال :

— ان هذا هو شغلي الشاغل ياسيدي . فلا تظن سكوتى

تقصيرا وعندما يحين الوقت سترى نتيجة عملي .

— اذن أنت تعد مشروعا

— أوه

وقال آخر :

— أظن الاستاذ لا يريد التصريح بشيء في هذا الموضوع .

فابتسم حسن ومط شفتيه وقال :

— أوه .. عفواً ياسيدي

ولما انتهى الاجتماع خرج حسن ورأسه يموج بمختلف الافكار  
وقلبه ينبض بشقى الانفعالات وفيما كان يسير في الشارع على غير  
هدى اذ قابل صديقه الحميم عبد الواحد . فصاح به حسن وفرد له  
ذراعيه على آخرها وقال له :

--- احتضني يا عبد الواحد وقبلني

فتقدم عبد الواحد متمجبا واحتضن صديقه وقبله . وتابع حسن

كلامه قائلا :

— آه لو كنت معنا . لقد كانت ساعة انتصار هائلة

— أي انتصار يا عزيزي

فتوقف حسن عن الكلام قليلا ومال على صديقه وقال :

— اسمع يا عبد الواحد . الا ترى أنه يجدر بك أن تلقبني

من الآن فصاعدا بلقب استاذ بدلا من قولك يا عزيزي .

فأجاب عبد الواحد وهو في حيرة واندهاش :

— حسناً .. يا استاذ .

فلمعت عينا حسن . وأخذ يقص على صديقه النجاح الذي

صادفه . ولم يسع عبد الواحد الا أن يقول له :

— أهنيك يا استاذ .. حقاً انها فرصة قد فاتتني

— اسمع يا عبد الواحد . لقد انتويت القيام بعمل جدي في

- عالم التمثيل . فهل أنت على استعداد لمعونتي  
— وهل تظننى أحجم عن مد يد المساعدة اليك  
— بورك فيك  
— ولكن عن أى عمل تتكلم ؟  
— هذا سرى يا عبد الواحد . سأطلعك عليه فى الغد . والآن  
أنا مضطرا الى تركك . ان مشاغلى كبيرة هذا المساء . سأراك  
غداً فى قهوة « الفن »

وفى الصباح ذهب حسن الى الدكان متأخراً فوجد عمه قد  
أحضر فتى يدعى يوسف ليساعده فى العمل . فسر من ذلك  
واعتقد أن الظروف تخدمه . وعول على مفاتيحة عمه فى الامر  
الذى يشغله .

وعادا سوياً الى المنزل لتناول الغداء . . وكانا يسيران  
صامتين كأنهما غريبان وكانت أم خليل قد أعدت الغداء فجلسوا  
حول المائدة يأكلون وهم متجهمو الوجوه . وكان يغمر المكان سكون  
مقبض للنفوس لا يقطعه إلا نباح كلبة الجيران الذى يشبه نواح  
الشكلبى . ولاحظ حسن على عمه أن الشيخوخة بدأت تقهره وتذله

فالعشة أصابت يديه والتجاعيد قد غزت وجهه في شكل منزع .  
أما عمته فكانت ملفوفة الرأس بطرحتها السوداء تأكل بيضاء ممل  
وتتمهد من حين لآخر . ونظر حوله فوجد أثاث الفرقة كما هو ، ممل  
كل قطعة منه تذكارات لماضي حياته . فتمهد بالرغم منه وقد شعر  
كأن يداً قوية تهصر قلبه . والتفتت إليه عمته وتمهدت ثم نظر اليهما  
العم وتمهد . وقال موجهاً كلامه لزوجته :

— أليس من مصائب الدنيا أن أحضر شخصاً غريباً في  
الدكان وابن أخى موجود . وقادر على العمل . ولكنه لا يريد  
مساعدتي

فتنفتح حسن طويلاً ولكنه لم يتكلم . وأجابت الزوجة

قائلة :

— ماذا نفعل يا شيخ مبروك . . . قسمتنا

— صحيح قسمتنا . . . قسمة ذى الطين

ثم وجه كلامه الى حسن وقال :

— لقد عملت واجبي نحوك يابني . عملته تماماً لا ينقصه شيء

فما حيلتي اذا كنت لم تنفع . لقد أدخلت الكتاب أولاً ثم المدرسة

ثانياً مؤملاً أن أجيدك فيما بعد رجلاً نافعاً يساعدنا على المعاش .

فلم تنفع . . أرسلت لتتعلم صنعة . ولكنك لم تنفع . . وضعتك

في الدكان لتتعلم أعمال التجارة فتكون خلقي في المستقبل . كذلك لم تنفع . اتبعتك بالضرب على أستطيع أن أحولك عن السهر وأمور التراترات التي ملأت بها مخك فلم يفد شيء من كل هذا في سبيل إصلاحك . . ألم يكن من المروءة أن تتقدم نحوي وأنا الان في أواخر أيامي ونقول لي : استرح أنت يا عمي ودعني أحمل عبء العمل بدلا منك .

فتنهدت ام خليل واغرورقت عيناها بالدموع ودمدمت قائلة :  
— قسمتنا . . قسمتنا

ومسح العم عينيه ونكس حسن رأسه برهة وأخذت شفناه ترتعشان . ثم تكلم قائلا :

— ولكن يا عمي أنا معذور . والله معذور

— معلوم يا بني معذور . ومن قال غير ذلك

— أنت لم تفهمني يا عمي ولا مؤاخنة

— كيف لم أفهمك يا حسن . أنا فاهمك للغاية

— اذا كنت فاهمني فلماذا تحتقر أقوالى وأفعالى

— لانها أقوال وأفعال مجانين

— يا عمي أنا « ارتست » . والله ارتست

— وما هو الأرتست يا حسن

ووجد حسن عمه في حالة تسمح له أن يتفاهم معه فقال :  
— الارتست ياعمى هو الممثل الفنان .. هو الشخص العبقري .  
فلم يكذب يتم جملته حتى بصق الشيخ مبروك في وجهه محتدا .

وقال :

— لعنة الله عليك وعلى أيامك . أتتجاسر أن تقول أمامى

بأنك « مشخصامى »

ثم التفت الى زوجته وقال لها :

— أنظري ياستى واعجبي . هذا الذى كان ينقصنا على آخر

الزمن . ان حسن يتباهى بأنه مشخصامى

وسألت الزوجة زوجها قائلة :

— وما هو المشخصامى يا أبو خليل .

— المشخصامى ياستى « خول » لا أكثر ولا أقل .

فاهر وجه حسن وقال محتجا :

— ما هذا الكلام ياعمى . هذه اهانة كبيرة .

— اذا ماهو « المشخصامى » ياسى حسن . أليس هو الشخص

الذى يصبغ وجهه بالاحمر والابيض ويكحل عينيه . ويلبس

البنطالونات الضيقة ويمشى فى التراترو يتعوج ويرقص .

وضربت الزوجة بيدها على صدرها وقالت :

— ما هذه الخلية يا حسن . أتقبل على نفسك أن تكون من

هؤلاء الناس

وغص حسن بريقه وتلثم ... وتكلم العم قائلاً :

— أظنن يا أم خليل أنني ممتقد أن لي ابن أخ اسمه حسن

عبد الكريم . لا والله أبداً . عوضى على الله فيه ، عوضى على الله  
فيك يا حسن . . رح يا بني افعل ماشئت والله لا يفتحها في وجهك .

ان الولد يريد أن يفضحننا على آخر الزمن

وقام وهو يبصق على الارض ويتمتم في انفعال وذهب ليغسل

يديه . والتفتت العمة الى حسن وقالت له :

— أيصح أن تُغضب عمك هكذا يا حسن . قم يا بني واستغفره

وقبل رأسه وتب على يديه واترك أمور الهلس التي لا تنفعك

فنظر اليها حسن نظرة شذراء وهو يقول :

— أنتم لم تفهماني ولن تفهماني فاتركاني وشأني افعل ما أريد .

وسوف تدركان خطأ كما عند ما تسمعان عني في المستقبل القريب .

ودخل حجرتة مهر ولا .

وتهمياً حسن في الحال للعمل . فجمع حاجياته في صرة واحدة ،

ربطها في طرف عصاته المسرحية الطويلة التي كان يدهرها عصاة  
« ترزياس »

وأصت طويلا خلف الباب فلم يسمع حركة ما . ووثق من أن  
عمه وعمته ناعمان كعادتهما بعد كل غداء . ففتح الباب في هدوء  
وحذر وخطا خطوتين ثم توقف . والتفت خلفه ليلقي آخر نظرة على  
حجرته . وأخذ يتمتم قائلا :

— وداعا يا حجرتي المحبوبة . يامستودع أسرارى ومهبط  
وحى . يامرتع أحلامى ومنبع عبقرى . وداعا أيها المنزل العتيق .  
يامن تالأ فيك نور طفولتى . . .  
وأخذ قلبه يدق انفجالا وبدأ صوته يعلو ويهدأ ويخشوشن  
وقال :

— . . . وداعا أيضا ياعمى . يامن كنت عقبه فى سبيل آمالى  
لقد صفحت عنك صفح الكريم قم بسلام . . وداعا ياعمى يامن  
كنت طيبة معى بالرغم من جهلك وغباوتك . . وداعا لكل  
شىء وداعا . . .

وإذا به يتحمس بالرغم منه وقد نسي موقفه متخيلا نفسه على  
مسرح التمثيل فرفع عقيرته قائلا :

— وداعا للطبل الذى يشب حرارة النفس . وداعا للزمار الذى

يشجى القلب برخيم صوته . وداعا . . وداعا . .  
ومشى مشية عطيل وخرج لا يابى على شيء . وفتح العم عينيه  
في انزعاج وأيقظ زوجته وقال لها :  
— ألم تسمعى أحد يزعم بأعلى صوته  
فمسحت المرأة عينيهما وقالت :  
— أظنك كنت تحلم يا أبو خليل .

وطرق حسن أبواب المسارح فقبلته فرقة من الفرق الهزلية ضمن  
أفرادها ومنحته مرتبا ضئيلا . وبمدا عمل فيها عشرين يوما  
استدعاه مدير الفرقة في حجرته وقال له :

— لقد أفهمناك غير مرة أن جميع أدوارك هزلية فلماذا تصر  
على اخراجها أدوارا تراجيدية  
— لأن طبيعتى تراجيدية ياسيدى .

فتوقف مدير الفرقة هنيهة عن الكلام وهو لا يدري أيقهقه  
بالضحك أم يثور ساخطا ويصفع هذا المعتوه . وأخيرا ابتسم  
وقال له :

— ان طبيعتك مع الاسف لا توافق جو فرقتنا يا أستاذ

- هذا صحيح . ولسكن . . لدى رأى  
— انى أرحب بكل رأى تعرضه على  
— شكرا ياسيدى . . انى منذ التحاقى بفرقتكم السكرية وأنا  
مجد فى تحضير مشروع كبير لترقية فن التمثيل  
— وهل أتمته  
— على وشك أن أتمه  
— اذن يمكنى أن أطلع عليه  
— ان الفرصة مناسبة جدا لاطلاعتك عليه اليوم . . الموضوع  
فى حد ذاته بسيط لا يكلفك شيئا . وهو أن تسمح بتمثيل رواية  
جديدة من الروايات الفنية مرة كل أسبوع . لى أن أستعمل  
مسرحكم وأشتغل بفرقتكم . . والرجح بيننا مناصفة  
المدير ابتسامة كبيرة وقال :  
— هذا مشروع عظيم يا أستاذ . انما يحتاج الى بحث .  
— الوقت أمامك متسع ياسيدى . . ولسكن لاتنس المثل  
الطيب . خير البر عاجله .  
وصمت المدير وأخذ يتلاعب بقلمه . ثم رفع رأسه وقال :  
— أين كنت يا حسن قبل أن تلتحق بفرقتى ؟  
— كنت أشتغل فى دكان عمى

وما هي صنعة عمك ؟

فتردد حسن برهة ثم قال :

— . . . . . يقال

— ولماذا تركت صنعة البقالة والتجرت بالتمثيل ؟

— لاني أحب التمثيل وأريد أن أعمل في سبيل رقيه

— أتريد مني نصيحة يا بني

— قل ياسيدي

— أن تعود الى دكان عمك وتريح نفسك من هذا العناء

— لقد أوقفت نفسي وحياتي على خدمة الفن فلن أحول

وجهي شطر غيره

— وهل أنت مصر على ذلك

— كل الاصرار

— اذن . اسمع . لي سؤال بسيط . ألم يخطر على فكرك ولو

مرة واحدة انك مهووس

وأحس حسن بصدمة أصابت فؤاده فصمت مبهوتا . ثم تكلم

بعد حين وقال :

— ماذا تقول ياسيدي ماذا تقول

— أقول أن الأفضل لك أن تعود الى عمك وتشتغل معه

كسابق عهدك

— لقد دس لي عندك الحاسدون . أليست هذه هي الحقيقة .

صرح لي ياسيدي بكل شيء ، فأزلتُ مستعداً للتفاهم معك

— أرى دسيسة وأرى حاسدون . ان صبري نفذ وأعصابي

بدأت تشور . فأخرج وخذ حسابك من سيد أفندي . وقد انتهى

كل شيء

— اذن أنت تخشى منافستي لك . يا للضعف . ولكنني أقسم

لك أنني ما فكرت لحظة في الاضرار بك بل كنت أريد لك

الخير دائماً

فقام المدير وأخذ يدفع حسن نحو الباب وهو يصرخ على سيد

أفندي قائلاً :

— يا سيد أفندي . يا سيد أفندي . إصرف لهذا الملحوس

بأق حسابه وأخرجه من المسرح بلا إهمال

وعاد حسن الى طرق أبواب الفرق والجمعيات التمثيلية .

والتحق فعلاً بتمظيها ولكنه لم يستقر في واحدة منها . إذ كان دائماً

يطلب بالادوار الرئيسية ويتطفل على الممثلين بالارشادات

ويتدخل في ادارة المسرح وينقد الروايات ويصلح المؤلفين .  
ومن ثم لفظه الجميع ولم يعد يقبله أحد .

وأخيراً عثر على فرقة جواله من فرق الاقاليم لم تكن تعلم شيئاً عنه فقبلته . ورأى حسن أن يكون صبوراً وأن يرضخ لحكم الاقدار ريثما تتحسن الاحوال . فقتنع بالادوار التي كانت تمنح له . واعتزل الناس ما أمكن وخاصة زملاءه الممثلين . وكان كثير الصمت متجههم الوجه يسير منفرداً يجتر مشاريعه اللانهائية . وأراد أحدهم مرة أن يبسطه فقال :

— مالك يا أستاذ ملازم الصمت والوحدة . أياكون الحب

قد طرق قلبك ؟

فشمخ حسن برأسه وقال :

— الحب ! انى لا أعرفه

— هذا محال

— يا صديقي ان المرأة المفروض على حبها لم تخلق بعد . . .

ولم يطق حسن أن يعيش هكذا معيشة غير منتجة فعاد يبدى ملاحظاته القاسية على التمثيل والاخراج . وقامت بينه وبين مدير الفرقة مشادة انتهت بطرده فرجع الى القاهرة وقد أقسم أن يقاطع الفرق والجميات التمثيلية . وبريقه فلم تطأ قدمه عتبة أى مسرح .

ولم يكلم أحداً من المشايخ وكان إذا صرّ بجماعة منهم وسمعهم يتكلمون خيل إليه أنهم يقصدونه في كلامهم . فكان يرمقهم بنظرة احتقار وكبرياء . وإذا سمع واحداً منهم يضحك ظنه يهزأ به فيبصق على الأرض ويسير رافع الرأس وعلى وجهه طابع الاستمزاز . وكان يقضى معظم وقته مع عبد الواحد في قهوة الفن . ملازماً الصمت . ينظر الى الشارع نظراً شارداً . ثم يلتفت أخيراً الى صديقه ويقول له :

- يا لهم من ضعاف العقول أطفال !  
وشحت نقوده فنقشف في عيشته ولم يقبل أى مساعدة من صديقه . وضافت الدنيا في وجهه فهجر القهوة وبدأ حياة التجول المملة الشاقة . وكان إذا أنهكه التعب جلس في مكان منعزل على احد الارصفة يفكر فيما انتهى اليه من الشقاء . ثم يزفر زفرة حارة ويقول :

- صبرا صبرا فقد خلق الفنان لكي يتعذب في الحياة .  
وأخيرا زاره عبد الواحد في حجرتة فوجده قد حبس نفسه فيها وآلى على نفسه أن لا يبرحها . وقد بلغ به البؤس منهاء . فقال له :

- اسمع يا صديقي . لقد وجدت لك حلا يخرجك من مأزقك

هذا . وقد سميت لك فكمال مسماى بالنجاح

فأجابه حسن بصوت متهدج :

— ماذا تعنى يا صديقى

— أعنى أننى قابلت الشيخ مبروك عمك . وكلمته عنك فقبل

أن تعود اليه وهو يرحب بك

فقام حسن غاضبا وقال :

— أنت تفعل هذا يا عبد الواحد . حقا انك لم تعرفنى بعد

— ماذا . أترفض الرجوع الى عمك

— كل الرفض

-- ولكن هذا جنون يا حسن . أتريد أن تقضى على نفسك

--- الموت فى سبيل المبدأ شرف وجاه .

وأخذ يسير فى الغرفة ذهابا و ايابا ويدها خلف ظهره \* وبعد

صمت قصير عاد عبد الواحد الى الكلام فقال :

— ولكن عودتك الى عمك ستكون مؤقتة ريما تتحسن

الاحوال فما ضرك فى هذا

— كيف تريدنى أن أعود اليه معتذرا .

— ومن قال لك ذلك . ان عمك هو الذى يدعوك ويرحب

بقدمك

ثم توقف عن الكلام قليلا • ودنا من حسن وأسر في أذنه

قائلا :

— ان الرجل مريض •• في طريق الاضمحلال • وقد

لاحظت عليه شحوبا وهزالا يدعو الى القلق والتفكير • وسألت

عنه البعض فاخبروني بأنه يشكو من مرض عضال خفي •••

فأنصت حسن باهتمام • ثم عاد الى سيره يذرع أرض الغرفة

بخطى عصبية • وأتم عبد الواحد كلامه قائلا :

— •• انه محتاج اليك في هذا الوقت • ألسنت ابن أخيه

ألا يثق فيك أكثر من الغريب • فما رأيك • قل

فاجاب حسن متمنا :

-- دعني أفكر في الامر •

-- الامر واضح لا يستوجب تفكيراً • انما يستوجب عزماً •

— سأمر عليك في قهوة الفن عصر اليوم وسأخبرك عما

اعتزمت عليه

-- حسناً • سأنتظرك •

واستعد عبد الواحد للخروج • ولا يمكنه قبل أن يترك الحجرة

عاد الى حسن وهمس في أذنه قائلاً :

— اذا مات الشيخ مبروك وهو غاضب عليك فلن ترث

منه مليماً واحداً . لقد حول على التنازل عن كل ما يمتلكه الى زوجته .  
أما اذا مات وهو راض عنك فستكون أنت وريثه الاكبر .  
فاهتز حسن بالرغم منه . ووقف برهة صامتاً . ثم انثبه الى نفسه

وصاح :

— أظننى أفكر فى ذلك يا عبد الواحد . أنت تهيننى

— معاذ الله يا صديقى . انما رأيت قياماً بواجب الصداقة التى

تربطنى بك أن أنبهك الى كل شىء . والآن استودعك الله .  
أنا منتظر فى قهوة الفن .

وخرج عبد الواحد . وعاد حسن يسير بخطاه العصبية وهو

غارق فى تفكير عميق .

واقتنع حسن بوجوب العودة الى عمه وذهب فى اليوم التالى

اليه مع عبد الواحد فقابله الشيخ مبروك بالترحاب واحتضن كل منهما  
الآخر وهما يبكيان . وقبل حسن يد عمه وهو يسترضيه بكلمات طيبة .

وصرت الايام وحسن يقوم بعمله فى الدكان خير قيام ويؤدى

واجباته الدينية على الوجه الأمثل . وقد قاطع السهركلية . واكتسبت

هيئته مظاهر الرجولة والكمال . قليل الابتسام يتكلم فى غير تطويل

ولا يطرق الا الخطير من المواضيع . فكان عمه ينظر اليه مغتبطاً

غير مصدق نفسه ويقول : الهداية من الله .  
وكانت صحة الشيخ مبروك معتلة وظهرت عليه بوادر الأبحلال .  
ولكنه لم يرضخ للمرض بل كان يذهب كل يوم الى الدكان وهو  
مستند على حسن . يسير في جهده ومشقة .

واشتد عليه المرض أخيراً فلزم فراشه . وأخذت قواه تنحط  
بسرعة يوماً بعد يوم وحل عليه سبات عميق لم يكن يستيق منه  
الا في أوقات قصيرة . فجزعت عليه أم خليل وطرقت جميع  
الابواب فاستدعت الاطباء والتجأت الى المشايخ الذين يكشفون  
الغيب ويعالجون المرضى بالتأميم . وقصدت الى الجوامع وأضرحه الاولياء  
تفرق الصدقات وتندر النذور . ولكن لم يند شيء من كل هذا فقد  
كان الشيخ مبروك ينطفيء أمامها كأنطفاء القنديل الذي انتهى  
زيته وكان حسن عبد الكريم يراقب مرض عمه في صمت وهو  
مستغرق في تفكير عميق .

واستيقظ الجيران صباح يوم من الايام على « صوات » حار  
منبعثاً من دار الشيخ مبروك فهرعوا الى الدار يسألون ما الخبر  
وخرج حسن من حجرته فزعا فاستقبلته عمته بصياح وعويل  
وأمسكت به تبسه آلامها وتروى له فاجعتها فأحس حسن كأن قلبه  
ينصهر ومرت عليه أزمة نفسية شديدة فاندفع يبكي ويلطم وجهه  
ويصرخ . ولما هدأت حالته ألغى عمته في حالة يرثى لها . وكانت

منطرحه على الارض على وشك الانحاء . فأسرع اليها وأسمعها  
بالماء حتى استفاقت . ولكنها لم تعد قادرة على الصراخ فقد بح  
صوتها وأصابها وهن أقعدتها عن الحركة .

وبدأ الناس يفدون على المنزل . رجالا ونساء . وحاول  
حسن أن يستدر دموعه ليستقبل بها المدعوين فلم تطاوعه عيناه  
فغافل الجمع وذهب الى حجرتة ووقف أمام مرآته حائقا . ثم ثار على  
نفسه وجعل يقرص وجهه ويفركش شعره ويدعك عينيه بشدة  
ولمح غير بعيد عنه « حق الفازلين » فاخطفه وجعل يدعك خديه  
وعينيه ولما انتهى وقف يتأمل نفسه . ثم تهيأ للخروج وهو على  
هيئة « أوديب » في فصاه الاخير . بعد أن طعن عينيه وشوه  
وجهه . وفتح الباب وهو يصرخ بأعلى صوته :

— واحسرتاه عليك يا عمي . يامن كنت أعز من والدي

وأخذ يصرخ متحمسا . فتقدم اليه بعض المعزين وقالوا له  
وهم يلاطفونه :

— ماهذه الاعمال يا حسن . كن رجلا ولا تدع نفسك فريسة  
الاحزان .

فاشتمت حماسته وتابع صراخه وهو يقول :

— دعوني أقبله قبلة الوداع ... دعوني أتلى بوجهه الصبوح .

واندفع يجرى نحو حجرة عمه و بعض مهارفه خلفه يحاولون منهه . و دخل الحجرة فالفى الجثة فى فراشها مغطاة بملاءة بيضاء فارتجف وارتد الى الوراء و اصفر وجهه ولعبت شفثاه بلا كلام ثم لم تطاوعه ساقاه على الوقوف فخر على الأرض . و حملوه الى الخارج .

وأعدوا العدة للجنازة . و ظهر النعش يتبعه و يتقدمه جيش من النساء و الفقهاء و المرتلين . و أراد حسن أن يصرخ و أن يذرف الدموع فلم يستطع و اعتراه وجوم غريب . فسار خلف النعش مطأطئاً لا يجسر على رفع بصره اليه . و كانت تنتابه من حين لآخر هزة شديدة . و خيل اليه أن عمه يطل من النعش و انه يلغنه و يبصق فى وجهه . و كانت المسافة طويلة حسبها لا تنتهى و شعر كأن قدميه تفقدان الاحساس . و كأنه يسير فى طريق كاه رمل و أخيراً وصلت الجنازة الى المقبرة . و وقف حسن بجوار القبر كالأبكم ينظر الى جثة عمه و هى تنحدر الى مقرها الأخير كأنه يتفرج على شىء عادى . و بغثة طغى عليه احساس غريب فجعل يلطم وجهه ويشد شعره و هو يصيح صياح المجانين و عاد الى الدار فالفى المنزل يضحج بالصراخ و العويل فضاق صدره و ازدادت هواجسه و أمضى ليلة سيئة مشبعة بأحلام رهيبية . و كان عمه يتراءى

له وهو يطل من نعشه يهدده بيده المارية الهزيلة ويبصق في وجهه .  
وقضى حسن بضعة أيام يعيش عيشة الفزع والقلق . ولكن  
حالته بدأت تهدأ تدريجياً وأخذت ثقته بنفسه تعود اليه . وكان  
يعجب أشد العجب لتلك الازمة النفسية الغريبة التي مرت به والتي  
كادت تقضى على آماله في الحياة .

وحل محل عمه في الدكان وأبقى الفتى يوسف في عمله كالسابق  
وكان قد أهمل حلاقة ذقنه وشاربه على أثر وفاة عمه . فلما وقف  
يوماً أمام المرأة يريد حلقهما لمع بدهنه خاطر غريب . وطال  
وقوفه أمام المرأة يحدق النظر في وجهه . وأخيراً خرج بدون  
أن يمس لحيته وشاربه بأذى .

وكان يراقب نمو لحيته في شغف وانفعال . ولكن ساء منها  
ان ظهرت جرداء غير مكتملة ليس عليها مهابة اللحي الجميلة .  
وجلس يوماً مكتئباً وقد ضاق صدره من عناد لحيته . ولكن  
لم يطل أمر اكتسابه طويلاً اذ قام بفتحه الى صندوقه وأخرج منه  
بعض الشعر المستعار وقارورة بها صمغ . ووقف أمام المرأة  
يلصق الشعر في الأماكن الخالية من لحيته . واعتبط لنجاح فكرته .

وخرج في اليوم نفسه ومعه صرة كبيرة من الملابس وذهب الى خياط عمه . وفتح الصرة أمامه وأخرج منها بعض الجلبب والقفاطين الزاهية اللون . وهي من مخلفات عمه وطلب من الخياط أن يصلحها له .

وخرج حسن من داره في صباح يوم من الأيام وهو بزيه الجديد زى وجهاء المشايخ : عمامة كبيرة مهيبية وجبة فضفاضة زرقاء يشرق تحتها قفطان مخطط ذو لون أصفر جميل ومركوب أحمر يلمع في وهج الشمس كالجرة المتقدة . وفي يده مسبحة طويلة غليظة الحبات يسبح عليها بخشوع . وسار بهند الهيئة الى الدكان وكان يسلم على الناس في تؤدة وعيناه نصف مقلتين .

وقابله عبد الواحد في الدكان . فلما رآه على هذا الشكل كاد ينفجر ضحكا ولكنهُ استطاع أن يتقلب على نفسه . ولما استقر بهما المقام التفت عبد الواحد اليه وقال :

أراك قد غيرت زيك

فرفع حسن رأسه من على مسبحته وقال :

— رأيتهُ أصلح لحالتي الجديدة . لقد زهدت في الدنيا وما فيها من خبث ونفاق . وأقبلت على العبادة بنفس ظمأى أروى غلتي من فيض الله

— والتمثيل ؟

فرمقه حسن بنظرة غاضبة وقال :

— التمثيل ! ماذا تقصد يا عبد الواحد . وهل تهزأ بي .

— معاذ الله . ولكنى أسألك هل خبت تلك الجنوة

الملتهبة التي كانت تتقد بين جوانحك

— هذا سر يعلمه الله . ولنترك هذا الموضوع يا صديقي

فانه يحرك كامن أشجاني . ثم عاد الى تسبيحاته . وبعد قليل

رفع رأسه وقال لعبد الواحد :

— سأقيم حفلة « ذكر » هذا المساء في دارنا . واني أدعوك

لحضورها . فما رأيك

— أقبل دعوتك مع الشكر الجزيل .

— اذن منتظر ك بعد صلاة العشاء

— وهو كذلك

وفي المساء ضج صحن الدار بالمدعوين وكانوا رهطاً من

الطفيليين ومشايخ الجنازات وفقراء المولوية وبعض الفقهاء

المهتمين . وأقيمت لهم وليمة عشاء قوامها الفت واللحم . فكانوا

يأكلون ويصيحون بالدعوات الحارة لصاحب الدعوة . وكان

حسن يسير بينهم وهم ملتفون حول القصعات يحییهم بإبتسامة

هادئة وقد ضخّم عمامته حتى أصبح رأسه يترنح تحت ثقلها وفي يده مسبحة جديدة غليظة الحبات تكاد لطلوها تمس الأرض ولما انتهى الطعام وزع حسن الصدقات على روح عمه . وقام بعدئذ إلى الصلاة فرشحه الجميع للإمامة . فصلى بالناس في خشوع كبير . ولما اكتملت حلقة الذكر تصدرها حسن وافتتحها بالافاشيد . وشعر بالحماس يدب في جسمه فترك أمر الانشاد لغيره وأمسك بنبوته الغليظ وجعل يضرب به الأرض ليحافظ على وحدة الايقاع . وكان كلما حى الذكر اشتدت ضربات النبوت وأسرع الذاكرون في انحناءاتهم المتكررة وهم يصيحون « الله حى » وكان حسن غارقا في نشوة عجيبة وبدأ يفتقد شعوره بما حوله . وكان جسمه يلعب لعبا مدهشا . وقد اتسعت عمامته وهبطت على وجهه حتى أخفتها . وما كاد الدور ينتهى حتى خرّ على الأرض فاقد الوعي .

وامتولى على حسن صلاح عجيب فاكثر من حفلات الاذكار ومن زيارته لأضرحة الاولياء والمساجد . وكان يقيم الولايم ويوزع الصدقات بلا حساب فذاع صيته وكثر أتباعه . وكان يقضى يومه

إما مصلياً أو غارقاً في تسبيحاته اللائهائية وهو جده مغتبط بتلك  
الموجة الصالحة التي اكتسحت نفسه فطهرتها من أدران الفساد .  
وكان يتردد على مجالس الفقهاء ويستمع بشغف الى مناقشاتهم  
الدينية . ويحضر دروس الوعظ ويكثر من قراءة القرآن وكتب  
الحديث والتفسير ، وكان يحس في نفسه بشعور غامض يلهب  
حماسه في الدين ويدفعه لأن يعمل عملاً كبيراً فيه .

ففي يوم من أيام الجمع بينما كان في المسجد يستمع الى خطبة  
الامام اذ شعر كأن شيئاً ينفجر في صدره . فقام من فورهِ وسار  
متجهاً نحو المنبر وهو في شبه غيبوبة نفسية غير واع لمن كان  
يتخطاهم في طريقه أو يدوسهم . ليس منتبهاً الى زججرة الناس .  
يصيح قائلاً :

— أنا الذي اختارني الله لهدايتكم . أنا الذي لا أنطق الا

بالحق . فمن اتبعني فقد اتبع الله .

ووصل الى المنبر في الوقت الذي انتهى فيه الخطيب من  
خطبته . وارتقى درجات المنبر في سرعة مذهشة . وصرخ على الجمع  
في انفعال كبير وقال :

— يا عباد الله . استمعوا الى جيداً والله يهديكم سواء السبيل .

والتفت الناس فوجدوا امامهم على المنبر قزماً عجيب الشكل

في هيئة شاذة . له عمامة حمراء عظيمة تترشح من ثقلها على رأسه .  
يحدق فيهم تحديق المحبولين ويشوح بيديه تشويحاً غريباً . .  
وهمومه يتابع قوله :

— .. انى مُسِير لاخير . قد أمرنى الله أن أحمل لكم رسالتى  
لأنفدكم مما أنتم فيه من جهل .. انكم غارقون فى المعصية . وأنتم  
لا تشعرون .

فهمهم الناس فيما بينهم متضايقين . وقام شخص ممن كان  
يعرف حسن أيام اشتغاله بالتمثيل وقال :

-- ما هذا الملحوس الذى تركوه نه هكنا يهنى بكفره .  
وبدا الجمهور يصيح . ولكن حسن كان مندفعاً فى خطابه  
بحماس شديد وهو يقول :

— .. اتبعونى اتبعونى . انى هادىكم الى الصراط المستقيم . .  
فازداد صياح الناس . وصرخ شخص قائلاً :  
— انزل يا جددع والا أنزلتك رغم أنفك .

ولما وجد الجمع أن حسن غير مبال باحتجاجهم اندفع نفر منهم  
نحو المنبر وهم يشتمونه ويهدونه . وخرج من بينهم عملاق ضخيم  
الجبم فار تقى المنبر فى خطوطين ثم أمسك حسن من قفاه وحمله الى  
خارج الجامع وألقاه بعيداً عن الباب والناس حوله يضعون

بالضحك مهالين . وتم ذلك في سرعة أذهلت حسن وحسب انه يحلم أو انه محموم . وأخذ يفرك عينيه وينظر الى الصبيان الذين التفوا حوله بعد عودة المصلين الى الجامع . واستطاع أخيراً أن يفهم ما حل به فا كفهرو وجيه وأخذ يتمتم في يأس قائلاً :

— حتى أنتم أيها المصلون فيكم الحساد المنافقون

وقام يجر نفسه الى المنزل

ومنذ ذلك الحين ظهرت على حسن برادر الانقباض والقلق

وبدأ ينسى بعض فروضه الدينية . وأهمل عمامته فصفرت وتضاءل

شأنها . ولم يعد يهتم بحمل مسبخته اذ وجدها مضايقة له معطلة

لأعماله . وقاطع الجوامع وانقطع عن زيارة الفقهاء وأبطل تدريجياً

حفلات الذكر . وكان يجلس في الدكان مهوما غارقاً في تفكيره .

وجاءه مرة عبد الواحد وكان قد لاحظ عليه هذا التغيير .

فبادره بقوله :

— أرى الهم لا يفارقك هذه الايام . فماذا حل بك

-- لا أجد في الحياة ما يدعو الى المسرة

— مع انك تعيش في رخاء وحالة الدكان حسنة

— كأنى بك تقول ان المال هو كل شيء في الحياة . ونسيت

ان روحي تصبو الى ما هو أسهى وأرفع .

— لا أفهم ما تقول

— حتى انت مع اخلاصك ونبيل أخلاقك لاتفهمنى ... اعلم يا صديقى انى لم أخلق فى هذه الدنيا لأبيع الجبن والصابون ان الله كلفنى برسالة على أن أبلغها لهذه الامة الظلمة .

— رسالة فنية على ما أظن

— رسالة عظيمة ينوء بها قلبى . وستقتلنى اذا لم أستطع ابلاغها

— اذن كافح فى سبيل ابلاغها والله يمينك

— سأ كافح سأ كافح وانى معتمد على الله فى دعواى . وسيعلم

الحساد المنافقون أى منقلب ينقلبون .

وكانت عيناه تلمعان وشفته تترتشان . وصمت الصديقان

برهة . ثم تكلم حسن قائلاً :

— سأقص عليك حلاً يترأى لى منذ أيام . حلاً عجبياً

كأنه حقيقة ناصعة . لقد رأيت نفسى قابضاً على فأس عظيم أهد به

منزلى ودكانى وورائى كلاب تنبح بشدة وتريد الهجوم على

لتزيق وأنا مجد فى عملى أسخر منها . ومن الغريب أننى كنت

أثناء ذلك مرتدياً ملابس هملت .

— ملابس هملت ؟

— يحق لك أن تعجب أيها الصديق . أما قلت لك انه حلم

غريب • كنت أهد بيدي اليمنى دكاني ومنزلي وأشيد بيدي اليسرى مسرحاً عظيماً أتبين شكاه جيداً ولكن أنواره كانت تخطف الابصار • وإذا بقيس بن الملوّح ( مجنون ليلي ) يخرج من بين الانقاض ويعانقني عناقاً حاراً ويقول لي بصوته العذب : تقدم الى الامام ولا تجزع • • ثم أنوار وظلمة كانت تتعاقب بسرعة مصحوبة بضجة هائلة • • • وهتاف عظيم • ثم أياك يا صديقي في هذه الرؤيا ؟

— مدهشة للغاية • ولكن ما تفسيرها ؟

فصمت حسن مدة طويلة ثم أجاب صديقه في لهجة توكيد :

— تفسيرها في كلمتين قلها لي قيس : تقدم الى الامام ولا

تجزع

وباع حسن دكانه ومنزله وبدأ يشيد مسرحاً كبيراً من الخشب في جهة سيدنا الحسين . كان يصرف عليه عن سعة وقد اعترزم حقاً أن يعمل عملاً حاسماً في سبيل الفن . ولم التواني • • المال متوفر • والصدر يحترق بالنار المقدسة . والهاتف يصيح به أن تقدم ولا تخش شيئاً .

وتفطت جدران العاصمة باعلانات فرقته . وكان يذهب

كل يوم الى مسرحه ليراقب الأعمال الختامية ويدير البروفات ويوصى الفنانين على صنع الستائر والاثاث والملابس . عمل مرهق يقوم به حسن بشعر باسم وعزيمة لا تعرف السكلل وقد جمع فرقته من صفار الممثلين - هواة ومحترفين - واعتزم أن يخلقهم خلقاً جديداً وينافس بهم فطاحل زملائه القدماء . وعين زميله عبد الواحد مديراً فنياً للفرقة بمرتب لم يحلم به في حياته وقدم له في الحال مبلغاً وافراً ليتولى أمر الصرف على الفرقة . وكان يدخل مسرحه وهو يسير في هواة مقطب الوجه ينظر حوله نظرة ترفع ويشير على الناس والاشياء حوله بمصاته الثمينه اشارات خاطفة وهو يقول :

— اخرجوا هذا في الحال .. هذه القطعة من الاثاث فظيمة .  
يجب تعظيمها . . . سكون . . لا يعترض أحد على كلامي . القاءك  
يا جدد زفت وقطران . . وأنت في أي مزلة تعلمت التمثيل . .  
اسمع يا عبد الواحد . . يجب التنبيه على النجار باحضار الكراسي  
غدا . واذا تأخر فحطم الكراسي على رأسه . . لا يهمني أحد . . .  
أريد عمل متقن في كل شيء . . .

وكان عبد الواحد يسير خلف حسن ويجيب دائماً بقوله :

— أمرك مطاع يا أستاذ

وفي المساء كان حسن يستدعى مدير فرقته الفني ليجلي عليه روايته التي يؤلفها والتي اعترم أن تكون رواية الافتتاح . وقد اعتقد ان مثل هذه الرواية ستمثل كل ليلة على المسرح لمدة لا تقل عن الثلاثة أو الاربعة شهور .

كان يجلس متكوما على مقعد كبير من الفوتيل يدخن سيجارته في صمت مضطرب وينظر بحدة الى سقف الغرفة . ثم يشرق وجهه بغتة ويقفز من كرسيه ويبدأ يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يقول :

— ... أنتِ نور قلبي يا حياتي .. نور قلبي أنتِ يا حياتي ..  
يا حياتي نور قلبي أنتِ ...

وكان يطيل في الكلمات وينطقها بتنغيم وترخيم على أشكال مختلفة وهو يعيدها مرارا . ثم وقف أمام عبد الواحد وقال :

— إن عملية مزج الكلمات وتحويلها الى جمل فنية من أشق الاعمال . وهنا الصعوبة في التأليف .. وهل هناك فرق بين الملحن الذي يمزج بين مختلف النغمات ليخرج لحنه والكاتب الذي يؤلف بين الكلمات لينظم منها جملة .. المسألة مسألة نغم ثم رفع رأسه في زهو وتابع سيره وهو يقول :

— أكتب • نور قلبي أنت يا حيائي • • •

وحلت ليلة التمثيل وتلاألت الانوار وازدحم المكان بالمتفرجين • وكان معظمهم من طبقة أولاد البلد • ودقت الساعة العاشرة ولم تُرفع الستارة بعد • وبدأ الجمهور يتماهل • وأظهر احتجاجه بالتصفيق طالبا رفع الستار • فخرج اليهم حسن في ملابس التمثيل حاملا في يده اليمنى سيفاً طويلاً يخطف الابصار بلمعته • وكان لابسا عمة ضخمة مرصعة بالالآء المسرحية • ووقف أمام الستار وانحنى فصفق له الجمهور • ثم اعتدل في وقفته وهو مشرق الجبين وقال :

— سادتي الافاضل • نشكركم على حفاوتكم بنا وتقديركم لعملنا باقبالكم هذا الاقبال العظيم على مشاهدة روايتنا • والمعذرة اذا تأخر رفع الستار خمس دقائق أخرى لبعض الضرورات الفنية التي تستلزمها ليلة الافتتاح •

فقام أحد الحاضرين وقال :

— هل حضرتك ( حسن أبو علي الممثل الكبير )

فانحنى حسن علامة الايجاب المنحناة ارستقراطية بهيئة مسرحية أثارت ضحك الجمهور • وشمر الشخص الاول كفيه وبدأ يصفق

ويغنى قائلاً

— حسن أبو علي سرق المعزة .

فجعل الحاضرون يرددون الاغنية معه . أما حسن فظل برهة واقفاً أمام الستار وهو يحاول اسكات الحاضرين ولما لم يفلح دخل مزجراً وهو يقول :

— سفلة منحطون غجر

ودخل المسرح فوجد الهرج والمرج سائداً فيه . ممثلون لم يتموا زيفتهم وارتداء ملابسهم . ستائر ناقصة لم تحصل بعد من المتعهد . الفصل الاول لم يُرتب منظره بعد . فازداد حسن غميظاً وأخذ يركل الاثاث بشدة وهو يقول :

— لقد فضحتموني أيها السكّاب

ثم وقف في وسط المسرح وشهر سيفه الطويل كما كان يفعل دون كيشوت وقال صارخاً :

— التمثيل سيبدأ بعد خمس دقائق . بعد خمس دقائق فقط .

فاستمدوا . ومن تأخر سيترد في الحال .

وكان الجمهور مازال يغنى ( حسن أبو علي سرق المعزة ) ودنا

حسن من الستار ونظر على الناس من الفتحة الصغيرة فوجد شاباً

من المتفرجين اعلى مقعده وصاح بهلء فيه وهو يصفق :

— عاوزين ( بدره ) . عاوزين بدره

وانقلب الجمهور كله يصفق مما، ويردد بصوت واحد : عاوزين

بدره .

وكان قد أعلن أن « السيدة بدره سرور » مطربة المشرقين ستظهر لأول مرة على تيجتها المشهور بين فصول الرواية . وتقدم عبد الواحد ومعه عصاه الغليظة الخاصة برفع الستار وقال لحسن — ألا تفضل يا أستاذ أن نبدأ الحفلة بوصلة طرب من السيدة بدره وفرقتها ربما تصل الستائر الباقية ويتم الممثلون ارتداء ملابسهم .

فاحمرت عينا حسن وصاح في مديره الفنئ قائلا . .

— كآنى بك محرضنى على تحطيم عصاتك هذه على رأسك . .

ماهدنا الجنون . . .

— ان الجمهور يطلبها

— فليطلبها حتى الصباح . لن أبدأ روايتى بوصلة طرب .

هذه اهانة للفن الذى أمثله

— وما العمل اذن .

— سترى

وخرج مهرولا خارج الستار وسيفه الطويل فى يده . فخنفت

جلبة الجمهور . ووقف حسن وقفة كبرياء وخاطب المتفرجين

بلهجة لا تخلو من خشونة قائلا :

— سيداتي وسادتي . سألقى على مسامعكم منلوجا تمثيلية  
جديداً من تأليني

فأظهر بعض الحاضرين ملهم وعادوا الى جلبتهم وأظهر  
البعض الآخر شيئاً من الاهتمام وجهلوا يسكتون المشاغبين .  
وبداً حسن يلتقي منلوجه وسط هذه الضجة يريد التغلب عليها  
بقوة تمثيله والقائه . وبينما هو مجد في تمثيله اذ أجابه أحد النظارة  
« بشخرة » عظيمة وقعت على حسن وقوع القنبلة فجمد في مكانه  
مصعوقاً . وضع الجمهور بالجلبة العالية . ثم استعاد حسن جأشه  
وصاح ثائراً :

— أخرجوا السافل الذيء . أخرجوا الدساس المأجور .  
أخرجوه في الحال .

وضاع صوته في الضجة فلم يسمعه أحد . وكان الهرج والمرج  
سائداً فخيّل الى حسن أن أمره قد نُفذ في الحال . فعاد يلتقي  
منلوجه في حماسة عظيمة . واذا به يسمع صوتاً عالياً يندب  
ويصوت قائلاً :

— يادهوتي عليك يا حسن يا ابو علي ياخويا

واختلط الشخز بالصوات والزغاريد بالنذب وجعل بعضهم  
يصفق ويدبب قائلاً « عاوزين بدره ، عاوزين بدره » . وجن  
جنون حسن فأخذ يصيح قائلاً :

— أيها الأوغاد المأجورون . سأطردكم من مسرحي طرد الكلاب .  
ودخل يجرى الى المسرح وهو شاهر سيفه وقد اعتزم  
ان يستدعى البوليس لخراج المشاغبين . فوجد الممثلين ينهبون  
المسرح ويتضاربون . فطاح فيهم بسيفه يريد تأديبهم ولسكنه  
أصيب في رأسه بكرسى رماه عليه أحدهم فخر على الارض فاقد  
الوعي . وقامت معركة حامية بين المتفرجين وهجموا على شباك  
التذاكر لاسترداد نقودهم . وطوّحت الكراسي وتحطمت  
المصابيح واشتعلت النيران فجأة وانتشر الذعر بين الجميع وضع  
المكان بأصوات الاستغاثة . . ولم يمض على ذلك قليل من الوقت  
حتى كان المسرح بأكله يشتعل في توهج هائل ويتداعى في  
أصوات مفزعة .

وباحترق المسرح أضاع حسن كل ثروته . واضطر الى  
ترك شقته الواسعة الجميلة التي أجراها بعد مبيع منزله ، والانتقال  
مع عمته الى حجرة حقيرة في حي السيدة زينب  
وقضى حسن على نفسه بالحبس في غرفته فكان يقضى فيها  
كل وقته متعجبهم الوجه . قليل الكلام . غارقا في همه وحسرتة .  
وكان يشور بغنة فيعض يديه ويضرب الهواء بقبضته وهو يقول  
— سوف أفنيكم أيها السفلة الأوغاد .

أما عمته فكانت تخرج لتستجدي من أهل الخير أو تخدم  
نظير أجر ضئيل ثم تعود بالطعام لها وله . وحدث مرة أن قامت  
بينها وبين حسن مشادة فقالت له :

— الى متى هذه الخبسة . كأنك استظمت لذة الكسل  
فركت العمل لي والنوم لك .  
فمعلق فيها وقال :

— وهل تجرؤين على القول بأني أستمتع بالنوم . أنى أقضى

الليالى سهران بينما أنت يجانبى تشخرين .

— وماذا أفادنا سهرك هذا .

— أنى أفكر فى مشاريع لا تفهمينها .

— ياخى جك نيله على مشاريعك . لم نر منها الا الخسارة

ووجع القلب

— الخسارة ووجع القلب سترين . ان لى ارادة تفلق

الصخر وتصهر الحديد .

وفى صباح اليوم التالى خرج حسن من منزله مبكراً وقد عقد

العزم على البحث على عمل يتكسب منه . وقضى اليوم بأكله يجوب

المدينة ويسأل الناس بلا جدوى . وأخيراً عاد الى حجرته وقد

برّح به التعب والجوع . ولما سألته عمته عما فعل رفع يده مهدداً

وشفتاه المصفرتان ترهبفان وقال :

— سوف أسحقهم . الخونة المأجورين  
وخرج في اليوم التالي وقضى اليوم كله باحثا منقبا عن عمل  
وعاد كأمره خالي الوفاض متهدما يقرض أظافر يديه .  
ومضى عليه أسبوع وهو على هذا الحال • يترك حجرتة من  
الفجر ويعود إليها بعد غروب الشمس • وهو مكدود جائع فريسة  
للهم والاضطراب • وكان يتجنب مقابلة معارفه وبالأخص صديقه  
عبد الواحد • حتى اعتقد الأخير أن حسنا لا يريد أن يراه •  
وكان يمر على القهاوى ويقف أمام بعض الزبائن يروى لهم  
تاريخ حياته ويشرح لهم تصميمات مشاريعه • فإذا مل أحدهم  
كلامه وطرده رمقه حسن بنظرة شزراء وقال له :

— يالازمن الخاسر . الذى يطرد فيه الصعاليك كبار الفنانين .  
وإذا باسطه أحدهم وعرض عليه سيجارة أو مشروبا أشرفت  
أساير حسن وقال له :

— سيدى أنت رجل تقدر الفن وأهله • ولكنى لن أقبل  
معارضته على حتى أسمك منلوجا من منلوجاى الفنية .  
ويشعر يلقى أمامه منلوجه فى حماس كبير • وبعد ذلك يقبل  
على السيجارة أو المشروب فى تلهف وشوق •

وسامت صحة حسن وبلغ منه الهزال منتهاه • وأخيرا أصيب

بذات الرئة • وكانت من النوع السريع الفتك الذى لا يمهل صاحبه  
الا أياما معدودة •

وزاره عبد الواحد وهو فى ساعته الاخيرة • وكان حافظا  
لقواه العقلية • فأمسك حسن بيد صديقه وقال متمما :  
— لدى مشروع عظيم أريد أن أسره اليك • ولكن  
حذار من اذاعته • ان حسادى كثيرون وواقفون لى دائما  
بالرصاد •••

— لن أفشى سرّك يا أستاذ  
فابتسم حسن ابتسامة ضئيلة وقال :  
— اذن رأسك منى •• أجل هكذا •• اسمع اذن •••  
أريد أن أنشى ••••• وسقط رأسه على الوسادة فحركه  
عبد الواحد فاذا به جثة هامدة •••

تم الكتاب ويليه

## الأطلال

رواية قصصية مصرية

## الفهرس

صفحة

ج كلمة للبحاثة الكبر الستاذ ( ج . ویدمار )  
المستشرق السویرى

د كلمة للمؤلف

١ العودة

١٥ الى الجنة

٢٩ صابحة

٤٥ ججيم امرأة

٦٧ الشيطان

٨٩ الى الحضيض

١١٣ أبو على عامل أرتست

# مؤلفات المؤلف

## ١ الوثبة الاولى

تحت الطبع وهو يحتوى على المختار من قصص المؤلف التي  
ظهرت في مجموعاته الثلاث الاولى : الشيخ جمعه وعم  
متولى والشيخ سيد العبيط بعد أن هذب بعضها وألف  
البعض من جديد

## ٢ رجب أفندى

تظهر طبعته الثانية المنقحة عن قريب

## ٣ الحاج تاجى

وأقاصيص أفندى

تولت نشره لجنة التأليف والترجمة والنشر

## ٤ أبو على عامل أرتست

وأقاصيص أفندى

## ٥ الاطهر

رواية قصصية مصيرية

تحت الطبع